

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية من منظور عراقي)

أ.م.د. محمود عبد الواحد محمود
أستاذ تاريخ العصور الأوربية الوسطى
المساعد
كلية الآداب - جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

طراً على الكتابة التاريخية **Historiography** تطورات عديدة عبر تاريخها الطويل، فقد تم قراءة أحداث التاريخ وظواهره بأشكال متعددة تختلف باختلاف الزمان والمكان، وباختلاف الخلفية الفكرية للمؤرخين بتطور الزمن. وينطبق هذا التوصيف على جميع حقول التاريخ: القديم والوسيط والحديث، إذا أخذنا بالتقسيم الغربي للتاريخ. ولحقول التاريخ الأوربي الوسيط (٤٧٦ - ١٤٥٢)^(١) أهمية إستثنائية في تطور المعرفة التاريخية. فالي جانب مداه الزمني الطويل نسبياً الذي تجاوز عشرة قرون، مقارنة مع التاريخ الحديث الذي لم يتجاوز خمسة قرون تقريباً، فإنه يشكل حلقة وسطى بين القديم والحديث، ظهرت فيه وتطورت غالبية التطورات الإقتصادية والسياسية والدينية والإجتماعية والفكرية والدينية التي مهدت لظهور الدول الأوربية الحديثة وإمتداداتها في العالمين القديم والجديد. وعلى الرغم من القاعدة المعلوماتية الواسعة لحقل التاريخ الوسيط ووجود مؤسسات علمية مرموقة في أوربا والولايات المتحدة لتطوير هذا الحقل المهم من التاريخ، لم يكتف مؤرخو التاريخ الوسيط بدورهم في إطار التأليف والتدريس وتوسيع الحقل معلوماتياً، بل كانوا جزءاً من التطورات المعرفية (الإبستمولوجية) التي طرأت على حقل التاريخ عموماً، فكانوا مؤسسين لمدارس تاريخية

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ. م. د. محمود عبد الواحد محمود

متعددة، أسهمت في ظهور أفكار جديدة ومناهج متجددة تعيد قراءة الوثائق بأنساق جديدة، تختلف نسبيا عن المدارس السابقة في قراءة التاريخ وتدرسه وكتابته^(٢). وقد كان مؤرخو العصور الوسطى مؤسسين لاحدى المدارس التاريخية الفرنسية التي إمتد تأثيرها في أوروبا والعالم وأدت الى الترويج لإعادة قراءة التاريخ عموما والتاريخ الأوربي الوسيط على نحو خاص، تلك هي (مدرسة الحوليات الفرنسية) L'Ecole des Annales، التي ظهرت قبل نهاية العقد الثالث من القرن العشرين وإمتد تأثيرها حتى الوقت الحاضر.

البحث الحالي محاولة لتأصيل دور مؤرخي العصور الوسطى في تأسيس هذه المدرسة وماقدموه من إنجازات في إعادة قراءة وثائق التاريخ الوسيط وحولياته عموما وأقسام التاريخ الأخرى عموما. قراءة تحاول الإفادة من تراث هذه المدرسة ببنيتها القرووسطوية وماأحدثته من ثورة في الدراسات التاريخية في أوروبا والعالم، والنظر إليها برؤية عراقية تحاول البحث في عوامل تبلور مدرسة تاريخية عراقية تفيد من المدارس التاريخية والفكرية لجمع التراث الذي تكون عبر أكثر من ستة عقود من ظهور الكتابة الأكاديمية في العراق في مختلف حقول المعرفة التاريخية. فهل يمكن أن يكون لمدرسة الحوليات الفرنسية أصداء في العراق، البلد الذي يقترب في بعض ما تعرض له عبر تاريخه المعاصر مع ما تعرضت له فرنسا وأدى الى ظهور مدارس غيرت مستوى البحث التاريخي ونقلته من برجه العاجي الى محاولة فهم "الهزات المجتمعية والفكرية" التي هزت المجتمع الفرنسي مثلما هزت المجتمع العراقي. ولماذا كان مؤرخو العصور الوسطى أول المستجيبين لهذا التحدي والبحث عن قراءات جديدة للتاريخ عموما والتاريخ الوسيط بشكل خاص، مما دفع مؤرخا قرووسطويا مثل جاك لوغوف ليفكر "بعصر وسيط آخر"^(٣)، في كتاب حمل العنوان نفسه، ليقوم وزملاؤه من مؤرخي الحوليات باجialها المتعددة بقراءات جديدة ومتجددة للعصور الأوربية الوسطى.

والبحث أيضا محاولة جديدة تحت مظلة الحوار المستمرين المؤرخين والأكاديميين العراقيين والفرنسيين منذ المؤتمر الاول الذي عقد في باريس في كانون الأول ٢٠٠٨، والثاني الذي عقد في بيروت في كانون الأول ٢٠٠٩^(٤)، و الثالث المنعقد في أربيل في تشرين الثاني ٢٠١٠^(٥). يطرح الباحث في هذا البحث عن مدرسة الحوليات الفرنسية، وكذلك في دراستيه

السابقتين في مؤتمري بيروت وأربيل، بعض مشكلات تطور الكتابة التاريخية في العراق بالإفادة مما قدمه مؤرخو العصور الأوربية الوسطى في تجديد كتابة التاريخ. فإذا كان المؤرخون الفرنسيون قد إستجابوا للتحديات وتفاعلوا مع الواقع بتطوير وسائل الكتابة التاريخية ومحاولة الانتقال من الجانب الأكاديمي الى محاولة الإفادة من المعرفة التاريخية لتحديد العلل وأسباب الفشل، فإن المؤرخين العراقيين لم يقدموا مساهمات واضحة في هذا المجال، عدا محاولات فردية لبعض المؤرخين والباحثين العراقيين، مثل كتابات عالم الاجتماع العراقي المعروف العلامة المرحوم علي الوردي والمؤرخ الأستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد^(٦)، لم يقدر لها الاستمرار. فعلى الرغم من وجود أسماء لامعة من المؤرخين العراقيين في حقل الدراسات التاريخية بحقولها المتنوعة، لم تظهر مدارس تاريخية عراقية تتفاعل مع الواقع أو حقل الاختصاص لتقدم نظرية أو نظريات تاريخية عراقية تفسر سيورة التاريخ العراقي بعصوره المتعددة والخلل النبوي في هذا التاريخ. هل نجح الفرنسيون في الاستجابة لإخفاقاتهم ونجاحاتهم التاريخية في تقديم مدارس ونظريات تاريخية واضحة المعالم، مثل المدرسة المنهجية ومدرسة الحوليات، اللتان أصبح لهما سمعة عالمية وإمتداد على مدى القارتين الاوربية والأمريكية والشرق الأوسط؟ لماذا أخفق المؤرخون العراقيون في مثل هذه الإستجابة، على الرغم من كون البيئة العراقية خصبة بتحدياتها؟ هل أن الجانب المؤسساتي كان عاملا أساسيا في الاخفاق العراقي؟ وهل أن الأنظمة الشمولية تحول دون الإبداع في مجال الفكر؟ هذه التساؤلات واخرى غيرها ستكون محورا لهذا البحث الذي أرجو أن يكون إستمرارا لمحاولات أخرى لفهم التجربة التاريخية الفرنسية، ولاسيما تاريخ فرنسا في العصور الوسطى.

ولابد من الإشارة هنا إن مادة البحث إعتمدت على المصادر التي أسهم المركز الثقافي الفرنسي بتوفيرها^(٧)، لاسيما الأعداد الكاملة لمجلة الحوليات، التي قام المركز بجلبها من فرنسا، الى جانب عدد مهم من المصادر باللغة الفرنسية، مما أسهم في توفير المادة الأساسية لهذا البحث ومساعدة طلبة الدراسات العليا.

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ. م. د. محمود عبد الواحد محمود

فعلى الرغم من التطورات المتسارعة في حقول المعرفة المختلفة، بجانبها الطبيعي والانساني، والثورة المعلوماتية الهائلة التي قلصت الفجوة بين الاجيال والشعوب على حد سواء، وجعلت المعرفة في متناول الجميع، يبقى دور التاريخ في مجاله الاستمولوجي والمعلوماتي جوهريا ومحوريا لجميع الشعوب والأمم. فهو المنقذ والمدمر للحاضر والمستقبل في آن واحد، وفقا لطريقة قراءته وتقديمه للجمهور. وللمؤرخين دور مهم في بناء أية تجربة حضارية. وكل الشعوب التي تعرضت للأزمات، كان التاريخ حاضرا في إعادة هيكلة بناء المجتمع و تشكيله. العديد من الأمم المتقدمة في أوربا والولايات المتحدة، وحتى في بلدان اسبوية مثل اليابان وكوريا الجنوبية، كان التاريخ حاضرا في تجاربها التحديثية أو في إعادة البناء بعد تعرضها لأزمات أو نكسات أو غزو خارجي.

وللكتابة التاريخية، بمعناها المنهجي والاستمولوجي، دور مهم في إعادة بناء الوعي الجماعي وإعادة تشكيل الذاكرة التاريخية وتنشيطها لتسهم في إعادة بناء المجتمع وفقا لسياقات وأنساق جديدة ربما تكون مغايرة على نحو ضمني او كلي عن الأنساق القديمة التي ربما قادت الأمم سابقا الى الويلات والحروب ودمرت البنى الفكرية والإجتماعية والسياسة والإقتصادية. لإعادة قراءة التاريخ وحولياته وتجديد مناهجه وأدواته أسهمت بالنسبة لشعوب كثيرة في جعل التاريخ و قبيلة المؤرخين عاملا مساعدا في إعادة البناء وتشكيل المجتمع، وبالتالي مفهوم الأمة والدولة، وفقا لرؤية جديدة يكون دور التاريخ فيها فاعلا. إنشغل الكثير من المؤرخين في البحث عن أسباب النكوص والانحدار، ومحاولات إستنباط هذه الأسباب من دراسة التاريخ، وربما تشكل محاولة المؤرخ أرنولد توينبي Arnold Toynbee، في كتابه الموسوعي (دراسة للتاريخ)، باجزائها المتعددة، مثالا واضحا على مدى محاولة المؤرخين البحث في اسباب العلل بالبحث في جذورها التاريخية.

والعراق اليوم يعد مختبرا مفتوحا للمؤرخين للقيام بواجبهم في البحث عن أسباب العديد من المشكلات البنيوية التي يعاني منها المجتمع العراقي، وهو يمر بظروف مشابهة من الناحية التاريخية لتجارب شعوب أخرى مرت بتجارب مشابهة في بعض أبعادها، ولعل فرنسا والمانيا واليابان وكوريا الجنوبية تقدم دروسا مهمة للحالة العراقية، لاسيما في مجال مساهمة "

الكتابة التاريخية في إعادة تشكيل الوعي الجماعي والهوية والذاكرة التاريخية ". فإجراء دراسات مقارنة لمدى مساهمة الكتابة التاريخية في إعادة تشكيل الوعي الجماعي في العراق ومقارنتها مع تطور الكتابة التاريخية في دول مثل فرنسا وألمانيا واليابان^(٨) سيكون مساهمة مهمة للمؤرخين العراقيين ونظرائهم من المؤرخين والاكاديميين الفرنسيين.

وعلى الرغم من إهتمامي بدراسة وتدريس التاريخ الأوربي الوسيط منذ أكثر من عقد ونصف، فإن إهتمامي بدراسة التجربة الفرنسية جاء في السنوات الأخيرة بحكم تخصصي في حقل التاريخ الكارولنجي وتتبع تشكيل الوعي الفرنسي لمفهومى الأمة والدولة، لاسيما وإن عهد شارلمان^(٩)، وهو موضوع أطروحتي للدكتوراه، قد شكل، من وجهة نظر العديد من المؤرخين الأوربيين، البداية الحقيقية لإعادة توحيد أوروبا بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي وبداية مرحلة جديدة من التاريخ الأوربي، فأصبحت سنة ٨٠٠م، وهي السنة التي توج فيها شارلمان إمبراطورا ذات أهمية رمزية في تاريخ أوروبا، بوصفها أعادت اللحمة للقارة الأوربية بعد قرون من التفكك الذي تلا سقوط روما^(١٠). وجاء التركيز على دراسة مدرسة الحوليات من منظور عراقي، لإرتباط هذه المدرسة من جوانب عديدة بحقل التاريخ الوسيط والعصر ما قبل الصناعي، ومفهوم التوظيف التاريخي. فالتجربة الفرنسية في مجال التوظيف التاريخي والإفادة من دروس التاريخ مثال واضح لمدى تأثير التاريخ وصوته المؤثر في عصر الأزمات البنيوية. فقد قدمت فرنسا أمثلة ودروسا مهمة عبر تاريخها الوسيط والحديث والمعاصر لمدى علاقة التاريخ بتطور مفهوم الأمة وتأسيس الهوية الجماعية وبناء ذاكرة تجمع أبناء الأمة بعيدا عن الانشقاق والتشردم. ففي حرب المائة عام (١٣٣٧ - ١٤٥٣) مع إنكلترا، قدمت فرنسا مثالا لمدى تآلف الأمة الفرنسية للدفاع عن الأرض وتحريرها من الغزاة، فكانت جان دارك حصيلة لنجاح فرنسا في إستحضار روح الأمة الفرنسية، وخلال الثورة الفرنسية، كان التاريخ حاضرا، إذ إختلف الفرنسيون في تأسيس ظاهرة القطيعة Rupture أو الإستمرارية مع النظام القديم *ancient regime*، وقد أستمر هذا الصراع الأيديولوجي لعقود تلت الثورة الفرنسية. هزيمة فرنسا في حرب السبعين دفع المؤرخين والمفكرين الفرنسيين إلى

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ. م. د. محمود عبد الواحد محمود

التفكير في أسباب هذه الهزيمة، وأدى الى ظهور مدرسة جديدة في البحث التاريخي هي (المدرسة المنهجية)، التي حاولت البحث في أسباب الهزيمة وافادت من التجربة الالمانية في مجال الفكر التاريخي.

مؤرخو العصور الوسطى وتأسيس مدرسة الحوليات الفرنسية
(النشأة والإمتدادات):

مرت الدراسات التاريخية في فرنسا بثورتين منهجيتين: الأولى بعد هزيمة سنة ١٨٧٠، حين تأسست (المجلة التاريخية) على يد أساتذة جامعيين غالبيتهم من البروتستانت، وتمخض عنها ظهور المدرسة المنهجية، والثانية إرتبطت بظهور فكر جديد معارض لفكر المؤرخين المنهجيين، بدأت بطابع قومي متحمس للتخلص من آثار الهزيمة، التفت حول مجموعة من الشبان في مدينة ستراسبورغ المحررة حديثا من الألمان، بعد أربعين سنة من الإحتلال الألماني، وتمخض عنه ظهور مدرسة جديدة هي مدرسة الحوليات. ولا يخفى التأثير الألماني في المدرستين وفي الفكر التاريخي الفرنسي عموما، إلا أن المؤرخين الفرنسيين استطاعوا أن يقللوا من التأثير الألماني بسبب تراثهم الفلسفي الذي يرجع الى عصر التنوير في القرن الثامن عشر، وهو المزاجية بين الفلسفة والتاريخ والجغرافية^(١). كانت المدرسة المنهجية ورانديها شارل سنيوبوس^(٢) (Charles Seignobos) (١٨٥٤ - ١٩٤٢) وشارل فكتور لانجلوا^(٣) (Langlois Charles Victor) (١٨٦٣ - ١٩٢٩) قد طورت منهج البحث التاريخي منذ أواخر القرن التاسع عشر وانتشر تأثيرها إلى بلدان أوربية أخرى. أسهمت المدرسة التاريخية الرومانسية في مفتتح القرن التاسع عشر في إعطاء الخطاب التاريخي الفرنسي عمقا زمنيا في إطار مقولة " الأمة - الدولة ". وكان الهاجس الأول لدى المؤرخين في تلك الحقبة تفسير ظاهرة " Rupture القطيعة "، وهو هاجس لا يزال يطرح إشكالا منهجيا أساسيا حتى اليوم. فالثورة الفرنسية، التي ينظر لها بعض المؤرخين بوصفها خاتمة لتاريخ فرنسا الوسيط، محت الماضي عن بكرة أبيه، بوصفه ممثالا للنظام القديم Old Regime، وعصر الإقطاع المظلم. و سعى المؤرخون الفرنسيون من الجيل الاول الذي تلا الثورة الى وصل ماإنقطع من حبل التاريخ، جنباً الى جنب مع معركتهم من أجل الحرية في مواجهة المتطرفين

الناشطين في سبيل العودة الناجزة الى النظام القديم . وعندما تولى هذا الجيل من المؤرخين بعد ثورة ١٨٣٠ مسؤوليات قيادية في السلطة الفرنسية، باسروا بتجميع مخزون "الذاكرة القومية" بصورة منهجية وتسجيل وتصنيف كل ماكان مفيدا في تدريس التاريخ^(١٤).

مع الصدمة التي أحدثتها هزيمة فرنسا في حرب السبعين، ١٨٧٠، ومانتج عنها من سلخ مقاطعتي الألزاس واللورين عن فرنسا، حدثت القطيعة الثانية، التي دفعت العديد من المؤرخين المشتغلين بدراسة التاريخ في حقبة نهاية القرن التاسع عشر، إلى الدعوة الى الإقتداء بالمنتصرين الألمان: ففرنسا هزمت بهذه الضراوة ليس فقط بسبب أخطاء السياسيين والعسكريين، وإنما لأن مناهج تدريس التاريخ والجغرافيا في الجامعات كانت تحتاج الى إعادة نظر. فقام مؤرخان مرموقان مثل أرنست لافيس Ernest Lavisse^(١٥) (١٨٤٢ - ١٩٢٢) وشارل سينوبوس بالدراسة على يد المؤرخين الألمان، وملاحظة طريقة عمل الجامعات الالمانية، ليتمكنا بعد عودتهما من إحياء الوحدة الفرنسية على أسس تتيح تجاوز الإنقسامات الهيكلية الناجمة عن الصراع الطبقي المتوهج تحت الرماد. وحاولا من خلال نشاطهما البحثي إستقطاب المحافظين والتقدميين على حد سواء. وأدى تدريس التاريخ دورا في الإعداد للحرب القادمة بما يحقق النصر لفرنسا ولمسح آثار الهزيمة^(١٦). فالإعتراف بالهزيمة في الجوانب المجتمعية قبل الجوانب العسكرية والسياسية يكون طريقا لتحقيق النصر^(١٧).

جاء نشر كتاب شارل فكتور لانجلوا و شارل سينوبوس " مقدمة للدراسات التاريخية"^(١٨)، في عام ١٨٩٨، ليتحول الى "إنجيل لكل دارس للتاريخ". حدد المؤرخان منهجا للبحث التاريخي تضمن نقد المصادر داخليا وخارجيا. وكان ظهور المدرسة المنهجية قد تأثر بالمدرسة الالمانية، إذ أدرك المؤرخون الفرنسيون إنهم بحاجة الى إعادة النظر في المناهج التي عدوها سببا اساسيا من أسباب الهزيمة. وعانت المدرسة المنهجية للتاريخ في فرنسا من نقد "مدرسة الحوليات" ^(١٩)، التي ظهرت في مفتتح القرن العشرين، وأدت دورا مهما في تطور المعرفة التاريخية في فرنسا. ومن أبرز رموز هذه المدرسة الجديدة المؤرخون المتخصصون في التاريخ الوسيط وعصر النهضة: لوسيان فيفر، ومارك بلوك، وفرنان بروديل Fernand

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ. م. د. محمود عبد الواحد محمود

Braudel^(٢٠) (١٩٠٢ - ١٩٨٥) وغيرهم^(٢١). فمارك بلوك ولوسيان فيفرلم يعرفا بنظرية متماسكة في فلسفة التاريخ بقدر ماأشتهرا بأبحاثهما العلمية ذات التوجه الجديد. وتنطبق الملاحظة ذاتها على غالبية مؤرخي المدرسة، مما جعل مؤرخي الحوليات يتجنبون الأستنتاجات والتعميمات غير المستندة الى أسس علمية مرتبطة بالبحث الميداني^(٢٢).

في ظل هذه الأجواء الملهبة، في أجواء الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ - ١٩٣٣)، ظهرت (مدرسة الحوليات) ومجلتها في عام ١٩٢٩، ودشنت نهجا جديدا في الدراسات التاريخية، بمحاولة التغلغل الى قاع المجتمع والاقتصاد الفرنسي ودراسة البنى الأساسية التي شكلت هذا المجتمع، وانتقدت مدرسة الحوليات بشدة المدرسة المنهجية لأنها ركزت إهتمامها على الجانب السياسي. عبرت مدرسة الحوليات ودورياتها المتعددة، منذ صدور مجلتها الأولى في عام ١٩٢٩ (حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي)^(٢٣) *Annales d'histoire économique et sociale* عن حيوية المدرسة التاريخية الفرنسية ومدى تفاعلها مع المجتمع الفرنسي، في محاولة للبحث في العلل التي أدت الى الهزائم الفرنسية في حرب السبعين ومجرى تطور التاريخ الفرنسي منذ العصور الوسطى وحتى الواقع الراهن. وحاولت هذه المدرسة الاستفادة من منهج العلوم الاجتماعية وتطبيقه في الدراسات التاريخية، مما دعا مؤرخا مرموقا من رموزها هو فرانسوا دوس إلى الحديث عن تفتيت التاريخ وذوبانه في العلوم الاجتماعية، وقد عبر عن ارائه في كتاب حمل العنوان ذاته.

يعد مارك بلوك^(٢٤) Marc Bloch (١٨٨٦ - ١٩٤٠) ولوسيان فيفر^(٢٥) Lucien Febvre (١٨٧٨ - ١٩٥٦) مؤسسين لهذه المدرسة التي مرت عليها أجيال من المؤرخين، أسهموا في تأصيل الإطار المنهجي والنظري لها. طرحت هذه المدرسة مفاهيم جديدة مثل الحقب طويلة الأمد *longue durée*، بالبحث في اعماق الحدث التاريخي وتتبع جذوره وتاريخ الذهنيات *histoire des mentalités*، بدراسة البنى الفوقية للمجتمعات وإرهاصات الفكرية، وتاريخ المعدمين والمهمشين بالغوص عميق في قاع المجتمعات وبنائها التحتية، مما أدى بالنهاية إلى ظهور (التاريخ الجديد) *nouvelle histoire*، المفهوم الذي صاغه جاك لوغوف في سبعينات القرن العشرين وطوره العديد من مؤرخي المدرسة^(٢٦). كانت

هذه المفاهيم إضافات جديدة للفكر التاريخي الفرنسي، إنتشر تأثيرها إلى أصقاع أخرى من العالم. وحتى بعد إنتصار فرنسا في الحرب العالمية الثانية وتخلصها من آثار الهزيمة أمام الالمان، واصلت مدرسة الحوليات تطورها ودخولها الى عوالم جديدة بعيدا عن الآيديولوجيا التي طبعت الكتابات الفرنسية قبل الحرب. ووفقا لذلك، أدت مدرسة الحوليات وأجيالها من المؤرخين الفرنسيين الى ظهور (التاريخ الجديد) بوصفه إستمرارا لفكر مدرسة الحوليات وتفاعلا من هذه المدرسة مع تطور الزمان و تغير المكان.

ولابد من الإشارة إن دراسة التاريخ في فرنسا ذات أهمية إستثنائية، وهو موضوع إشكالي شائك في الثقافة الفرنسية منذ مرحلة مبكرة من تأسيس الأمة الفرنسية. وعلى نحو مشابه للحالة العراقية، يميل الفرنسيون بشدة للتاريخ، إذ أن حوالي ٥٠.٢ % من الفرنسيين يمتلكون كتباً تهتم بالتاريخ، وحوالي ٩.٦ % من بينهم تحتل هذه الكتب المرتبة الأولى من قراءاتهم^(٢٧). ويستند الخطاب التاريخي الفرنسي الى مقولة " الأمة - الدولة " ^(٢٨)، ويتداخل مع تطورها. ووفقا لذلك، كان له دور خطير في تطور الذهنية الفرنسية ودرجة علاقتها مع الدولة وطبيعة تعاطي المواطن الفرنسي مع الدولة على مدى التاريخ الوسيط والحديث والمعاصر. وهو مفهوم يقترب في بعض جوانبه مع الفهم العراقي للتطور التاريخي للعراق، وطريقة التعامل بين العراقي والدولة على مدى تاريخه الإسلامي الوسيط والحديث والمعاصر. فتكون المقاربة بين الفهمين ذات أهمية إستثنائية أيضا في تأصيل دور الثقافة العراقية المعاصرة في بناء الدولة. ويمكن أن يكون فهم الإدراك الفرنسي للتاريخ وتطوره والنجاح في الخروج من عقدة التاريخ وتجاوز أبعادها السلبية وتحويله الى عامل بناء في تطور المجتمع ذا تأثير مهم للنخب العراقية في مختلف المجالات.

تغير الوضع بعد عام ١٩١٩، فالفرنسيون خرجوا منتصرين ولم يعودوا بحاجة الى تغذية المشاعر الوطنية والشوفينية، بل على العكس من ذلك، أدركوا وهم يحصون قتلاهم البالغ عددهم حوالي مليون ونصف المليون، مدى خطورة روح الحرب على مجتمعهم. فكان الزمن بالنسبة للأمة الفرنسية زمن سلام، والهم الاول بين الحريين هو المسألتان الإقتصادية

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ. م. د. محمود عبد الواحد محمود

والاجتماعية، فالأزمة الاقتصادية كانت ماثلة، حتى أن كفاءة الحكومات كانت تقاس أولاً بمدى فاعليتها الاقتصادية. كانت هذه الظروف مواتية لتطور " مدرسة الحوليات "، في مدينة ستراسبورغ المستعادة من الألمان، وحدث تداخل بين العلوم الاجتماعية المتعددة لخدمة الروح الوطنية الجديدة الداعية الى السلام وإعادة بناء الأمة الفرنسية. وهكذا، أثبتت " مدرسة الحوليات " إنفتاحها وإستعدادها لإستيعاب مفاهيم الآخرين دون تفاخر أو عجرفة: " تعالوا نهز شجرة جوز الهند معاً، نضع حداً للنزعة المحافظة والأكاديمية المهيمنة " (٢٩).

ولم يكن مفاجئاً ان يتزامن ظهور الحوليات مع نشوب الازمة الاقتصادية العالمية ، فقد أندلعت أزمة وول ستريت في تشرين الأول، في حين ظهرت مجلة الحوليات في كانون الثاني من العام ذاته. فعلى الرغم من أن تأسيس المجلة قد سبق الأزمة، إلا أن الأخيرة كانت الأرضية التي أدت الى نجاحها. إن الإنهيارات المأساوية لإقتصاد رأسمالي على المستوى العالمي، التي أطاحت بنفخة واحدة بأمريكا وأوروبا، أدت الى إعادة النظر في فكرة تقدم متواصل للإنسانية في إتجاه المزيد من التحسن المادي. كانت هذه الأزمة أساس تساؤلات جديدة تعيد تقييم ما هو إقتصادي وإجتماعي غارق في إنخفاض قيمة النقد والركود الاقتصادي والبطالة. وهنا يعلق أحد رموز هذه المدرسة، جاك لوغوف، قائلاً " ليس من باب الصدفة أن تنشأ مجلة الحوليات سنة ١٩٢٩، وهي سنة إندلاع الأزمة الكبرى " (٣٠). ولم تكن الأزمة الاقتصادية قد أثرت على حقل التاريخ وحده بل شملت مختلف العلوم والإتجاهات الفكرية والاجتماعية، إذ أخذ الجميع يعيد النظر في طروحاته الفكرية في محاولة لإستيعاب نتائج الدمار الذي تركته الحرب. ويعلق أحد ثنائيي ستراسبورغ، لوسيان فيفر، مشيراً " لم تكن أزمة التاريخ مرضاً خاصاً فتك بالتاريخ وحده. لقد كانت أحد المظاهر، بل الظاهرة التاريخية البحتة لأزمة كبرى في الفكر البشري " (٣١).

ويتضح من دراسة جيل الآباء المؤسس للحوليات وتلاميذهم أن غالبيتهم متخصص في المجتمعات قبل الصناعية، وعلى نحو خاص التاريخ الأوربي الوسيط، لذلك كانت سجلاتهم فقيرة في الإحصاء، فأجبروا على الإعتماد على المعلومات الأرشفية والقوائم الحولية للأسعار أو المادة الطبوغرافية، وهو الجانب الذي طوره مؤرخو الحوليات الأوائل. فظهرت

المدرسة مع صدور مجلتها في عام ١٩٢٩، في وقت حاول فيه المفكرون الماركسيون أن يكشفوا الأساس الإقتصادي للبنية الثقافية والسياسية^(٣٢). وربما يفسر هذا سبب تسمية مجلتها بالحوليات والدوران حول هذه التسمية حتى بعد حدوث تغييرات طفيفة على عنوان المجلة بتوالي الأحداث.

ووفقا لهذه الظروف، تطور لدى المؤرخين الفرنسيين مفهوما جديدا لدراسة التاريخ بما يسهم في فهم الحاضر وخدمة الواقع الراهن، ليتعدى دورهم البعد الأكاديمي الصرف. فكان مؤرخان بارزان مثل بلوك وفيفر يعتقدان أن وظيفة المؤرخ هي فهم الحقبة الراهنة. و تأثرا في هذه الرؤية بكتابات المؤرخ البلجيكي البارز هنري بيرين Henri Pirenne^(٣٣) (١٨٦٢ - ١٩٣٥)، الذي كان مثلهما مقاوما للفكر النازي في بلاده. صرح بيرين عند زيارته للاهاي: " سأذهب أولا لرؤية قصر البلدية الجديد، فانا كمؤرخ معني أولا بما يجري عمله الآن. بعد ذلك سأوزر المتاحف، وإلا فاني أكون مجرد تاجر تحف قديمة ". وقد عبر بلوك، وهو متخصص ايضا بالتاريخ الوسيط، عن الرؤية ذاتها، بقوله: " حتى المؤرخ القرووسطوي يجب أن يبدأ عمله بالنظر الى ماحوله، ومعرفة ما اذا كان الإستقصاء مستمر أم لا... ثم ينطلق في رحلته نحو الحقب السابقة ". ووفقا لهذا التوجه، أدرك المؤرخون الفرنسيون أن قيمة التاريخ، في جانب من أبعادها، هي أن يسهم في فهم الحاضر، فمهمة المؤرخ وفقا لفهم المؤرخ القرووسطوي فرانسوا دوس^(٣٤)، " أن ينقلنا بين الماضي والحاضر، من أجل بناء مشروع وتشديد مستقبل ". ويستطرد قائلا " اننا نعلم اليوم أن إعادة بناء الماضي لا تكون صحيحة إلا اذا كانت متعددة، قائمة على الصراع بين القراءات والتفسيرات في جو من الحوار... فلو أننا محونا كل مايمكن أن يصدح هؤلاء وأولئك، لتحولت كتب التاريخ الى صفحات بيضاء، التاريخ الخصاء للآخر مستحيل، لذلك يجب فتح الحوار والقبول باحتمال رواية حدث ما بطرق مختلفة. انه درس استخلصناه من المنعطف التأويلي الراهن، درس مؤداه أن المواجهة بين تفسيرات متباينة تقودنا الى الانفتاح. لقد تخلينا عن طموحنا الى بلوغ المعنى والحقيقة، لكننا نعتزم تقديم تفسير بين تفاسير، تاركين للأجيال اللاحقة أن تكتشف حلولاً ومسالك أخرى"

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ. م. د. محمود عبد الواحد محمود

(٣٥). وهذا يبين إنفتاح هذه الرؤية التاريخية الفرنسية على مختلف الإتجاهات والأفكار، في محاولة لإعادة تشكيل التاريخ بما يخدم مشروع الأمة- الدولة، ولم يكن ذلك ممكنا قبل حوالي قرنا تقريبا، عندما كانت فلسفة القطيعة، والدعوة الى الحرب والعداء هي الفلسفة السائدة في المؤسسات التاريخية في فرنسا. لقد أدرك المؤرخون الفرنسيون، بعد تجربة تاريخية حافلة تمتد بجذورها للعصور الوسطى أن البناء للحاضر والتأسيس للمستقبل هو الاساس للمعرفة التاريخية المعاصرة. وهكذا، تجاوزت " مدرسة الحوليات " في طروحاتها البعد الأكاديمي المحض، لتتحول الى مرآة عاكسة للواقع الإقتصادي والإجتماعي. لقد حاول الحوليون أن يتعدى دورهم الجانب المعرفي (الايستمولوجي)، على الرغم من أهميته، الى جوانب أخرى تسهم في مجملها في إعادة بناء الدولة والأمة الفرنسية. بمعنى أنهم حاولوا إستعادة الماضي لخدمة الحاضر، وليس النكوص الى الماضي.

وعند دراسة جهود الجيل الأول المؤسس لمدرسة الحوليات الفرنسية، يتضح مدى تأثير حقل التاريخ الوسيط ومؤرخوه في النصف الأول من القرن العشرين في تطوير هذه المدرسة. فقد كان مارك بلوك، وهو أحد الشايبين المؤسسين لهذه المدرسة مؤرخا قرووسطويا، ركز في كتاباته على التقليد الزراعي والتغيير التقاني في المجتمع الزراعي الوسيط في فرنسا. ولم يهتم بلوك بالمزارعين أو الطبقة الأرستقراطية كأفراد منفصلين بل درسهم في إطار المجتمع الإقطاعي الذي ينتمون إليه. فدرس المجتمع الأوربي الوسيط برؤية شمولية وجمعية ذاب فيها الفرد وأفكاره ضمن المجتمع الذي ينتمي إليه. و تخلى بلوك عن تتبع التاريخ السياسي والدبلوماسي وتاريخ السير، وإقتنع بضرورة دراسة المجتمع والواقع (٣٦).

ولإستيعاب المفهوم الذي دعاه مع زميله فيفر التاريخ الكلي *histoire totale*، أدرك بلوك إن المنهج الضيق الذي هيمن على حرفته يجب التخلي عنه، لأن على المؤرخ أن يتعلم وأن يستخدم معارف العلوم الإجتماعية واللسانيات والفيلولوجيا (فقه اللغة) والأدب المقارن والفلكلور والجغرافيا والإقتصاد الزراعي والإختصاصات الأخرى. و أدرك بلوك بذهنية مؤرخ العصور الوسطى إن التاريخ الحقيقي هو التاريخ المقارن ، وهي الفكرة التي طرحها أول مرة في المؤتمر الدولي للعلوم التاريخية الذي عقد في أوصلو في عام ١٩٢٨ (٣٧). و نشر أفكاره في

مقالة بعنوان " حول تاريخ مقارنة للمجتمعات الأوروبية " *Pour une histoire comparee des societes Europeenes*. دعا بلوك في هذه المقالة الى كسر الحواجز القومية التي تعيق البحث التاريخي، وعبور الشبكات الجغرافية، بإجراء مقارنات أفقية وعمودية للمجتمعات. وخلص للقول "إن الدرس الأبلغ المستمد من التاريخ المقارن هو أن الوقت قد حان لأن نباشر بكسر التقسيمات الطوبوغرافية البالية لتحديد الواقع الاجتماعي الحقيقي... وعلى المتخصص في التاريخ الوسيط أن يجد شبكته الجغرافية الخاصة، وأن لا يثبته من خارجها بل من الداخل" (٣٨).

وفي العدد الأول من مجلة الحوليات الصادر في عام ١٩٢٩، قدم للعدد كل من فيفر وبلوك في مقالة عنوانها (الى قراءنا) *A vos lecteurs*، مؤكدين على ضرورة تحديث وتجديد المنهج التاريخي والتفاعل بين العلوم الإنسانية والاجتماعية. وفي التقديم ذاته، دعيا الى أن يهتم المؤرخون المتخصصون في التاريخ القديم والوسيط والحديث بدراسة المجتمعات وحضاراتها (٣٩). وفي العدد ذاته، نشرت مقالة لهنري بيرين تناولت موضوع (ثقافة التجار في العصور الوسطى)، طرح فيها بيرين آراءه بشأن التجارة في أوروبا، متتبعا التطورات التجارية في جنوب أوروبا والبحر المتوسط ومعتمدا على مؤلفاته السابقة التي تناولت طروحاته وفرضياته بشأن أهمية الجوانب الاقتصادية والاجتماعية (٤٠). وهذا يشير الى دعم بيرين لمشروع الحوليات وتفاعله مع المؤسسين الأوائل للمجلة والمدرسة. وفي العدد ذاته والأعداد التالية، تتبع كل من بلوك وفيفر الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والإصدارات الحديثة في أوروبا بشأن هذه الجوانب، ونشروا عروضها عنها. فكانت غالبية هذه العروض بقلم بلوك وفيفر (٤١). وقد استمر هذا النهج للمجلة على مدى أعدادها اللاحقة. فقد صدر من المجلة عام ١٩٢٩ أربعة أعداد، ناقشت موضوعات تخص التاريخ القديم والوسط والحديث، وركزت على الموضوعات الاقتصادية والاجتماعية الفكرية وتطور العمل البحثي في مجال التاريخ في أوروبا ونشاطات المراكز العلمية المتخصصة في التاريخ في أوروبا. وقد استبعدت المجلة تناول الموضوعات السياسية والدبلوماسية إلا قدر تعلقها بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية (٤٢). وواصلت المجلة

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ. م. د. محمود عبد الواحد محمود

في الأعداد التالية السير على النهج ذاته، وكان دور بلوك وفيفر محوريا في إدارة المجلة وتوجيه مسارها.

أدت مشاركة بلوك في الجبهة خلال الحرب العالمية الثانية وأسرته من قبل الألمان الى جعله يعيد النظر في نظريته للتاريخ، وعبر عن ذلك في مؤلفاته، ولاسيما في كتابه (حرفة المؤرخ)، وبما نشره في مجلة الحوليات من مقالات ومراجعات لما صدر في عصره. وقد بدأ بإعادة قراءة النظام الإقطاعي. و رأى إن هذه الظاهرة الإقتصادية والإجتماعية ظهرت من أوضاع إجتماعية شاملة في حقبة محددة من التاريخ عندما تغيرت البيئة الإنسانية. وآمن بلوك "بقوة التطور الخلاق" في كل عصر، وهو المبدأ الذي إعتقد إنه يرتقي الى مستوى القانون التاريخي العام الذي يمكن تطبيقه على التاريخ في غالبية المجتمعات^(٤٣). وأدرك أن تاريخ الماضي يصطدم دائما بتاريخ الحاضر، فإهتم بالأرتباطات بالعصر التاريخي وإعترف إنه تعلم كثيرا من المؤرخين السابقين والعلماء الإجتماعيين. وقد إعتزف مع زميله فيفر باثر أولئك العلماء في القرن التاسع عشر على مؤرخي التاريخ الجديد، الذي مثلته الحوليات خير تمثيل. فأثرت (حوليات الجغرافية) Annales de geographie، التي أسسها فيدال دو لا بلاش Vidal de la blache، الذي قام تلميذه لوسيان غالوا Lucien Gallois بتدريس فيفر. وبين عامي ١٨٩٦ و ١٨٩٨، دشن دوركهام تأسيس مجلة (السنة السوسولوجية)، وفي عام ١٩٠٠، ظهرت مجلة هنري بير Henri Berr المعنونة (مجلة التوليف التاريخي) Revue de synthese historique. وقد ألهم الجو الفكري في أوائل القرن العشرين أفكار الإقتصادي فرانسوا سيميان^(٤٤).

ومن حسن حظ المؤسسين الأولين للحوليات أن يعملوا في جامعة ستراسبورغ في عام ١٩١٩، عندما ضمتها هذه الجامعة، بعد تحرير المدينة من الألمان. و أثر فيفر على زميله الشاب فكريا. وأثر مؤرخ قرووسطوي آخر على بلوك أيضا، وهو المؤرخ البلجيكي هنري بيرين، الذي ذاع صيته قبل عام ١٩١٤ من خلال مؤلفاته عن التاريخ الإقتصادي والإجتماعي^(٤٥) ومجلداته عن تاريخ بلجيكا. وبرز بطلا خلال الحرب العالمية الأولى لمنهضته للألمان، مما عرضه للسجن على مدى عامين ونصف العام في ألمانيا. وحاضر هنري بيرين، وهو المؤرخ

البارز آنذاك في العصور الوسطى، في جامعة ستراسبورغ بعد عام ١٩١٨، وطور صداقة فكرية خاصة مع بلوك وفيفر. وقد عداه مؤرخا كتب التاريخ الكلي والمقارن، واعاد تشكيل التاريخ الأوربي الوسيط حول القوى الاقتصادية والإجتماعية طويلة الأمد، مستبعدا التاريخ السياسي والدبلوماسي والعسكري، ومبتعدا في طروحاته ونظرياته عن فكرة البطل الذي يصنع التاريخ، وفقا لمفهوم توماس كارلايل في كتابه (الأبطال)، مما عرضه لسخط النازيين الذين إتهموه بكتابة التاريخ وفقا للمفهوم الماركسي. وقد قيم مارك بلوك جهود بيرين بوصفه إنموذجا لكل المؤرخين الشباب. و أشار بلوك الى بيرين في كتابيه (حرفة المؤرخ) و (الهزيمة الغربية) Strange defeat^(٤٦)، الى الحد الذي أهدى كتابه الأول "الى ذكرى هنري بيرين الذي كان، في الوقت الذي تناضل بلاده من أجل العدالة والحضارة، يؤلف كتابه تاريخ أوروبا"^(٤٧). وقد ألف كتابه (الهزيمة الغربية) بعد سقوط فرنسا في عام ١٩٤٠ وبعد عودته من جبهات القتال، وقد إستغرق في تأليفه حوالي ثلاثة أشهر. وإلى جانب الجذور القرووسطوية لهذه الهزيمة التي ناقشها بلوك، أرجع جانبا من هذه الأسباب الى عام ١٨٧٠، وما سبقها وتلاها من إختلالات بنيوية في المجتمع الفرنسي^(٤٨). وهكذا كان الحاضر دائما مرآة للماضي، من خلاله حاول بلوك أن يفهم أسباب هذه الإختلالات المستمرة.

وإتضح إعجاب بلوك ببيرين في رسائله اليه على نحو بين. فقد طلب بلوك وفيفر من بيرين دعم مشروعهما لتأسيس الحوليات، و دعم الأخير هذا المشروع. وكتب بيرين الى بلوك موضحا الموضوعات التي يجب ان تنشر في المجلة الجديدة. وإعترف بلوك باستاذية بيرين له عندما كتب عن مشروعه، وعلى نحو خاص تاريخه عن الريف الفرنسي في العصور الوسطى، الذي تأثر بما كتبه بيرين عن المدن في العصور الوسطى Villes du moyen Age بوصفه نموذجا للرؤية الجديدة التي تبناها بلوك في كتابة التاريخ الوسيط. وتبادل الإثنان، بيرين وبلوك، أفكارهما على نحو منتظم بشأن التاريخ الوسيط. ومما يستحق الذكر أيضا إن بلوك حضر المؤتمر الدولي للعلوم التاريخية الذي عقد في بروكسل في عام ١٩٢٣، وهو أول مؤتمر يعقد بعد الحرب العالمية الأولى. رحب بيرين بالمؤرخين المجتمعين بكلمة عنوانها (عن المنهج

وعلى الرغم من أن بلوك لم يتلق أفكار لامبرخت على نحو مباشر، فإن بيرين قام بدور الجسر الذي عبرت من خلاله أفكار لامبرخت الى بلوك. فقد كان بيرين وبلوك منفتحين تجاه أفكار لامبرخت. مع ذلك، كان لكل منهما خصوصياته في فهم التاريخ، ولكل منهما آراءه المختلفة. فكان بلوك متحمسا لعلم الاجتماع، وعلى نحو خاص عالم الاجتماع دوركهيم، في حين أن بيرين لم يشارك بلوك في هذه النظرة، وكتب الى الأخير أن علم الاجتماع يفتقر الى المنظور العمودي وأهمل الإنجاز الفردي. أكد بلوك على أن التاريخ هو علم التغيير *the science of change*، وإن هزيمة فرنسا في حرب السبعين يجب أن تفهم في إطار الحقب طويلة الأمد ودراسة تاريخ فرنسا الاجتماعي والفكري والإقتصادي^(٥٥).

واصل الجيل الثاني من مؤرخي الحوليات مآرساه الجيل الأول، وبعد فرنان بروديل خير ممثل لهذا الجيل. فقد الحق بروديل الجغرافية في دراسة تاريخ العصور الوسطى المتأخرة أو بداية العصور الحديثة (النهضة الأوروبية). ففي كتابه (البحر المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني) *La Mediterranee et le monde mediterraneen de Philippe II* الصادر عام ١٩٤٩، يبحر القارئ في البحر المتوسط الذي تخيله بروديل ويكتشف للمرة الأولى ليس نوعا جديدا من التاريخ الجغرافي، بل إنه يطوف في بحر من اللغات المتعددة وإنموذجا أدبيا ذا تقليد علماني وثراء من التاريخ "الشمولي" أو "الكوني"^(٥٦). يرى بروديل إن البحر المتوسط ليس بحرا واحدا بل هناك بحار كثيرة، فهو تعددية لأنظمة فرعية، تتفاعل فيما بينها ويتدفق كل منها في الآخر. فالدولة العثمانية وأوروبا متفاعلة في هذا البحر، وبذلك يتم تصوير المكان على إنه تقاطع جميع التجمعات المكانية. وتتفاعل ثلاثة عوامل مؤثرة في البحر المتوسط: الجغرافية والتاريخ الاجتماعي والتاريخ الحديثي^(٥٧). وبذلك كانت دراسة بروديل معمقة وجديدة بما طرحته من أفكار جديدة عبرت عن أفكار مدرسة الحوليات الفرنسية. فكانت دعوة بروديل من خلال ربط هذه العوالم الثلاثة الى عدم الإكتفاء بالتاريخ الحديثي والحفر عميقا في الجذور القروسطوية.

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ. م. د. محمود عبد الواحد محمود

ويعد "الأجل الطويل" أو الحقب الطويلة "Longue Duree" أهم إنجاز قدمه بروديل في تطور الكتابة التاريخية. وقد أفاد بروديل من أطروحته عن البحر المتوسط لتطوير هذه الفكرة، وأفاد من إتساع نفوذه في مدرسة الحوليات لنشر هذا المفهوم. يؤكد هذا المفهوم على تنوع التفاعلات المكونة للوحدة ذات القاعدة الواسعة، والعبارة التي يستخدمها بروديل هي "الحالة أو الظرف والبنية". ويعني ذلك من وجهة نظر بروديل أن التاريخ يكتب في آن واحد من مواقع عديدة أو منظورات متعددة، وليس قائما على موقف أو منظور واحد، سواء كان ذلك مقصودا أو غير مقصود. ورأى أنه قبل مدرسة الحوليات كان يتم التركيز على "الأجل القصير" أو على ما يسمى "بالتاريخ الحداثي"، والتاريخ السياسي والدبلوماسي هو الممثل الرئيس للتاريخ الحداثي. ولا يوجد تاريخ أحادي الجانب، كما إنه لا يوجد أفراد مجردون. ولذلك فإن "المدى القصير" أو "المتوسط" للأحداث يعوزه العمق لأنه يفترض تجانس الزمن وإنفرادية المنظور. وخلافا لذلك، فإن "الأجل الطويل" مستمد من "الألف خطوة المختلفة" للزمان الاجتماعي، ويمكن أن يشمل زمن التغيرات في البيئة التي هي التاريخ في أبطأ خطوات سيره، كما يرى بروديل. ويؤكد بروديل على التفاعل بين التاريخ والعلوم الاجتماعية، فما من حقل معين يمتلك إحتكارا للحقيقة المتعلقة بالوجود البشري والطبيعي. ورأى أن من الضروري تعبئة جميع العلوم الاجتماعية ليكون التاريخ القائم على "الأجل الطويل" بالفعل متعدد الوجوه^(٥٨). وقد شهد عصر بروديل أيضا، لاسيما عقد الستينات، التركيز على دراسة البنى الفوقية، لالبنى التحتية مثل قوى الإنتاج، وبذلك صعدت الحوليات، كما قال بعضهم، "من الدهليز الى بيت المؤمن العلوي" De la cave au grenier، ووقع التركيز على الذهنيات أو باللغة الدارجة آنذاك على المخيال La imaginaire، والمخيال هو تلاقح بين المؤرخين الماركسيين أو المتأثرين بالماركسية والمؤرخين الفرويديين. فظهرت دراسات جديدة حول الموت والعلاقات الجنسية وأنماط الحياة اليومية والطقوس الدينية والحب والخوف الخ^(٥٩).

وقد أظهر الجيل اللاحق، ولاسيما إيمانويل لو روي لادوري Emmanuel Le Roy Ladurie، كيف تساهم البيئة في تطور التاريخ. فقد أظهر في دراسته (فلاحو لانغودوك) Paysans de Languedoc، فائدة الدراسة الجغرافية الحيوانية وعلم الأرصاد الجوية

والجغرافية النباتية لدراسة التاريخ^(٦٠). وضمن المسار ذاته، كتب بيير شونو Pierre Chaunu أطروحته عن (إشبيلية والمحيط الأطلسي - ١٥١٤ - ١٦٥٠) Seville et l' Atlantique- 1504-1650، وقد إتفق شونو في أفكاره مع أفكار بروديل في تأثير الطابع الشمولي للمحيط الأطلسي، مثلما رأى بروديل فيما يخص البحر المتوسط وقبله هنري بيرين^(٦١). وقد فتحت مثل هذه الدراسات التي دشنها بيرين ووسعها مؤرخو الحوليات آفاقا جديدة في الدراسات التاريخية، لاسيما ما يخص التاريخ الوسيط، الذي حاول هؤلاء المؤرخون أن يعيدوا قراءة حولياته وتفسير أحداثه تفسيرات جديدة ذات طابع شمولي وحضاري، بعيدا عن النظرة الضيقة التي تحصره تحت مظلة التاريخ الأوربي. فأصبح للبحر المتوسط وبعده المحيط الأطلسي بعدا حضاريا وإجتماعيا وإقتصاديا ذا مسحة عالمية وشمولية بوصفهما عالما فسيحا للقاء بين حضارات وثقافات ولغات متعددة. وهذا يعني إعادة تقويم الحضارات على نحو شامل لمقارنتها مع بعضها، والتكيز على الثلاثية المميزة للحضارات: الإقتصادات والمجتمعات والحضارات^(٦٢).

ووفقا لذلك، تحولت الدراسات التاريخية من دراسة أوضاع النخب والطبقات العليا من المجتمع الى دراسة الطبقات المسحوقة من عمال وفلاحين وتتبع كل ما يتعلق بالمجتمعات البشرية ومحاولة التغلغل الى أدق التفاصيل في الحياة البشرية. هاجمت "مدرسة الحوليات" التاريخ السياسي المحض للمدرسة المنهجية، المجرد من التفكير والمسألة الإشكالية وعدوه خواء فكريا. إن الطراز الذي دافعت عنه "مدرسة الحوليات" كان أكثر تعقيدا. إنه يقيم إنظام ذهاب وإياب بين الماضي والحاضر، ويسائل الماضي إنطلاقا من مشكلات الحاضر، ويحاول في الآن ذاته استيعاب كيفية تكون الحاضر بدءا من تجسيدات معقدة من الماضي. ومشروع الحوليات الأول كان تنظيم المواجهة بين التاريخ والعلوم الاجتماعية، مع يقين بأن من مهمة مجموعة الأنظمة الدراسية الاجتماعية أن تتعاون. لقد تعدت "مدرسة الحوليات" في طروحاتها الجوانب السياسية والدبلوماسية، لتتغلغل الى الجوانب الإقتصادية والاجتماعية، في محاولة لفهم أفضل للحاضر من خلال التاريخ ودراسة الماضي. وإذا كان التاريخ قد لعب دورا

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ. م. د. محمود عبد الواحد محمود

أيدبولوجيا كبيرا خلال الجزء الاول من عهد الجمهورية الثالثة (١٨٧٠ - ١٩٤٠)، قبل عام ١٩١٤، إذ واجه ونسق الشعور الوطني. ولكن الوضع كان أقل من ذلك خلال الحرب العالمية الاولى، حين إختلفت التحديات. وأسهمت " مدرسة الحوليات " في هذا الإنتقال الواسع الذي تأكد بعد الحرب العالمية الثانية: " التاريخ الذي كان منذ الثورة الفرنسية علما تدريسيا للأمة، تحول بإضطراب الى علم تدريسي للشأن الاجتماعي" (٦٣). وهذا يتضح من خلال التحولات التي ظهرت على عنوان الحوليات وطبيعة الموضوعات المنشورة فيها.

قدمت " مدرسة الحوليات " بديلا للمناهج الانتقائية وللتاريخ السردى التقليدي الذي ساد في فرنسا وأوربا حتى أواخر القرن التاسع عشر، بل إستمرت ذبوله في البحث التاريخي حتى أربعينات القرن العشرين. وركزت المدرسة على البحث الميداني الذي تنبثق عنه القضايا المنهجية والنظرية المرتبطة بكتابة التاريخ. وهذه الصبغة العلمية - العملية هي التي جعلت مؤرخي الحوليات يستهدفون تجديد وتطوير مهنة المؤرخ وصناعته، ويحترسون إزاء كل منظومة فلسفية جاهزة كتلك التأملات الفلسفية التي حاولت توضيح غائية التاريخ ومصير الإنسانية. وان مشروع " تجديد التاريخ " إرتكز مع هذه المدرسة على إستعمال أدوات ونتائج مختلف العلوم الإجتماعية لبناء علم إنساني شامل يؤدي فيه التاريخ دورا مركزيا. هذا التفاعل جعل رواد الحوليات والاجيال التالية يهتمون بالاموضع الاقتصادية والإجتماعية والفكرية، وبذلك تجاوزوا التاريخ التقليدي للمدرسة المنهجية الذي كان يركز على الأحداث والأفراد دون التغلغل الى قاع المجتمعات الإنسانية، مما جعل الحوليون يتجاوزون الوثائق الى قراءة كل ما يتعلق بمخلفات الانسان لاعادة تشكيل المعرفة التاريخية وقراءتها قراءة معاصرة. ووفقا لهذا الفهم، أفاد الحوليون من العلوم الإجتماعية، وعلى نحو خاص علم الاجتماع وعلم الانسان والجغرافيا وعلم النفس، لتجديد مهنة المؤرخ وجعل دراساته وأبحاثه أكثر قربا من المجتمع الذي ينتمي اليه أو يتخصص فيه. الى جانب محاولتهم وضع اشكالية للموضوع قيد البحث والمقاربة بين الماضي والحاضر (٦٤).

لم تسلم "مدرسة الحوليات" ذاتها من نقد المدارس الأخرى من السوسولوجيين الذين أعابوا على المؤرخين منهجهم الساكن. فهاجم عالم الاجتماع فرانسوا سيميان

François Simiand^(٦٥)، في مقاله " المنهج التاريخي والعلوم الاجتماعية "، الصادر عام ١٩٠١، المؤرخين، رداً على مقالة لسينوبوس حول الموضوع ذاته. عامل سيمياند المؤرخين في مقاله على أنهم أناس ظرفاء ليس إلا: " التاريخ ليس علماً ومنهجه عديم القيمة". ودعا المؤرخين إلى الاستفادة من منهج العلوم الاجتماعية العلمي، والتخلي عن أوثانهم الثلاثة: الفرد والسياسة والتسلسل الزمني. ورأى أن الخطاب التاريخي يحول بين المؤرخين والعمل العلمي، باعتباره يقصر إهتمامهم على التاريخ الحربي والسياسي المكسر لتعاقب الملوك والوزراء. ولم يكن رد المؤرخين بمستوى الهجوم، إذ لم يستطيعوا الدفاع عن مهنتهم على نحو مرض^(٦٦). ووفقاً لذلك، لم يسلم مؤرخو الحوليات من النقد على الرغم من إنتمائهم إلى اتجاهات سياسية وفكرية متنوعة من اليسار إلى اليمين. فقد هاجم المؤرخون الماركسيون أثناء الحرب الباردة مؤرخي الحوليات بسبب ميلهم المفترض لاعتبار الرأسمالية نظاماً دائماً وإهمالها المزعوم للروابط الديالكتيكية بين البنى الفوقية والبنى التحتية. من جانبهم، حاول مؤرخو الحوليات فهم الدراسات الماركسية في محاولة لاستيعاب عناصرها كجزء من فهمهم الشمولي لحركة التاريخ. ووفقاً لذلك، قام مؤرخو الحوليات بدراسة بعض المفاهيم الماركسية مثل " نمط الإنتاج الآسيوي " و " الإستبداد الشرقي"، في محاولة للإنتفاع على مختلف المدارس الفكرية والتاريخية التي تسهم في تطوير مشروع الحوليات الفكري. وقد إنصب نقد المدارس الفكرية الأخرى خارج إطار المدرسة الماركسية على إهمال مؤرخي الحوليات للتاريخ السياسي في كتاباتهم ودورياتهم منذ صدور مجلة الحوليات في عام ١٩٢٩. فقد إنتقد العديد من المؤرخين الإنكلو - ساكسون الحوليات لقصورها في هذا الجانب، مما أدى إلى قلة الدراسات التي تتناول الموضوعات السياسية في فرنسا على نحو خاص. فحتى السنوات الأخيرة، كانت الحياة العلمية للحوليات ترفض نشر الموضوعات التي تتناول المشكلات السياسية على نحو مستقل والمجموعات الحاكمة. إلا أنه وفيما بعد، بدأ جيل جديد من مؤرخي الحوليات يتناول الموضوعات ذات الطبيعة السياسية - الاجتماعية^(٦٧).

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ. م. د. محمود عبد الواحد محمود

مع ذلك، استطاعت مدرسة الحوليات الفرنسية أن تشق طريقها بنجاح كبير في فرنسا، وإن تنتشر في أوروبا والولايات المتحدة والعالم. فقد أدت عواصف إنتفاضة الطلاب في فرنسا في آيار -حزيران ١٩٦٨، الى إنهيار النظام الجامعي في فرنسا وأثرت على المؤسسة الأكاديمية التي كانت اساسا لنشاط الحوليات في سنوات كفاحها. وظهرت سلسلة من الإصلاحات التي أدت الى إلغاء القسم السادس لمدرسة الدراسات العليا *Sixieme section de l'Ecole des hautes Etudes*، ونتج عن ذلك تأسيس (مدرسة الدراسات العليا في العلوم الإجتماعية) *Ecole des hautes Etudes en Sciences Sociales*، في عام ١٩٧٥، مع الحق لمنح الدرجات العلمية. وقد استطاعت الحوليات أن تعيد نشاطها وأن تؤثر في النظام التعليمي الفرنسي وأن تعبر المحيط، ليتم تأسيس (مركز بروديل لدراسة الإقتصادات والأنظمة التاريخية والحضارات) *Fernand Braudel Centre for the study of Economies, Historical Systems and Civilizations*، الذي تأسس في آيار من عام ١٩٧٧ في جامعة نيويورك^(٦٨) وتأثرت (مجلة الماضي والحاضر) البريطانية بمدرسة الحوليات الفرنسية، فكانت مزيجاً من فكر الحوليات والمفكرين الماركسيين^(٦٩). الى جانب إمتداد تأثير المجلة ومدرستها من الهند الى البرازيل، ومن السنغال الى تركيا، مروراً باليونان وتونس^(٧٠).

ومنذ عقد السبعينات، صاغ المؤرخ جاك لو غوف وجيله الثالث من مؤرخي الحوليات الفرنسيين مفهوماً جديداً هو الذي عرف (بالتاريخ الجديد). ففي مقدمته لكتاب (صناعة المؤرخ) مع المؤرخ الفرنسي بيير نورا *Pierre Nora* في عام ١٩٧٤، صاغ لوغوف مفهوم (التاريخ الجديد) الذي دخل حيز التداول الواسع. وفي عام ١٩٧٨، وتحت إدارة لوغوف وروجر شارتيه وجاك ريفيل، وكلهم من مدرسة الحوليات الفرنسية، ظهر كتاب جديد بعنوان (التاريخ الجديد)، قدم له باسهاب المؤرخ لوغوف، الذي أشار إن التاريخ الجديد يعود بجذوره الى عدد من المؤرخين والمفكرين الفرنسيين منذ عصر التنوير، ولا سيما فولتير وشاتوبريان وغيزو وميشليه وسيميان، الذين عدّهم آباء للتاريخ الجديد، إلا أنه أشار إن هذا التاريخ ببعده الاجتماعي والإقتصادي، ودراسة الحقب الطويلة والذهنيات والمهمشين يعود الى مدرسة

الحواليات الفرنسية التي أعطت للتاريخ نكهة جديدة وأبعادا لم تكن مألوفة في المرحلة السابقة^(٧١).

وهكذا، إمتازت التجربة الفرنسية في مجال المعرفة التاريخية بالتجدد والتكيف بما يتفاعل مع تطور المجتمع الفرنسي. فعندما أدرك المؤرخون الفرنسيون إن المدرسة المنهجية، بإسلوبها القواعدي والمنهجي النظري الصارم لم تعد ملبية لتطورات المرحلة الجديدة، لاسيما في حقبة ما بين الحربين، إتجهوا الى الحواليات ليكون منهجها الميداني الجديد وتفاعلها مع العلوم الإجتماعية الأخرى مليا لحاجات المرحلة الجديدة. وحتى الحواليات نفسها طرأ عليها تطورات متسارعة تتناسب مع تطور المجتمع الفرنسي، فجيل الحواليات الخامس في الوقت الحاضر تطور عن الاجيال الاربعة الاولى منذ عهد بلوك وفيفر مرورا ببروديل ولوغوف. وهنا يمكن أن نعيد طرح السؤال المحوري الذ طرحناه في مقدمة هذا البحث: ما الذي يمكن أن تقدمه الحواليات للمؤرخين العراقيين ؟

مقاربة عراقية:

إن هذه المدرسة وتجربتها الثرية في مجال الدراسات التاريخية والفكرية يمكن أن تقدم دروسا مهمة للمؤرخين العراقيين بأجيالهم المتعدد، وعلى نحو خاص جيل الشباب منهم. فالدرس الاول والمهم الذي نستخلصه من أجيال الحوليات هو القدرة على التكيف والتطور والتفاعل مع الواقع. فطالما تحدثنا عن "مدرسة تاريخية عراقية" منذ عقود متعددة، لكن أي منا لم يستطع أن يحدد ما هي سمات هذه المدرسة وما هو طابعها وما هي البصمة التي تركتها في مجال المعرفة الاستعمارية والمنهجيات لتمييزها عن بقية المدارس التاريخية. ولم يقدر للمؤرخين العراقيين أن يتجمعوا في اتجاهات فكرية متباينة ليشكلوا نواة لمدرسة أو مدارس فكرية. ربما يمكن تحديد اتجاهات في الكتابة التاريخية وفقا للمدارس التي تخرج منها المؤرخون والاكاديميون العراقيون، كالاتجاهات الليبرالية والماركسية والإسلامية في الكتابة التاريخية، لكن لم تتطور هذه الاتجاهات الى مدرسة أو مدارس تاريخية عراقية، على الرغم من مرور أكثر من ستة عقود على وصول طلائع المتخرجين أكاديميا من المؤرخين، وعلى نحو خاص عبد العزيز الدوري وصالح احمد العلي وجواد علي ومصطفى جواد وجعفر خصباك وزكي صالح وسامي سعيد الأحمد ومحمد محمد صالح^(٧٢) وغيرهم من المؤرخين الرواد الذين تركوا بصمات رائدة في تطور المعرفة التاريخية عراقيا وعربيا وتلاميذهم من الجيل الثاني أمثال كمال مظهر أحمد وهاشم التكريتي وصادق السوداني ويقظان العامروفلاح الأسدي وحمدان الكبيسي ومرضى النقيب وهاشم الملاح ونافع العبود وفاروق عمر فوزي وبدري محمد فهد وغيرهم من مؤرخي الجيل الثاني، وعلى الرغم من وجود هامات تاريخية من المؤرخين العراقيين من غير الأكاديميين، مثل عباس العزاوي وعبد الرزاق الحسني. وتدعم النتائج التي توصل لها الدكتور هاشم الملاح هذه الرؤية في بحث موسع يناقش فيه إشكالية وجود "مدرسة تاريخية عراقية". فبعد تتبع للأسس التي تكون مقدمات منطقية لظهور مدرسة أو مذهب، يصل الى نتيجة مفادها عدم وجود "مدرسة تاريخية عراقية" ذات سمات خاصة ينتشر تأثيرها في داخل العراق وخارجه^(٧٣). وقد لاحظ الباحث تأثر العديد من من المؤرخين العراقيين الرواد بأفكار الحوليات على نحو غير مباشر منذ مدة مبكرة من القرن العشرين، ولاسيما الوردي والعلي والوردي، إلا انه

لم يصل الى نتائج قاطعة في هذا الجانب، لأن المفكرين العراقيين من الجيل الأول كانوا محسوبين على المنشور الإنكليزي-ساكسوني وليس الفرانكوفوني. مع ذلك، فالمتتبع لكتابات الجيل الأول من المؤرخين والأكاديميين المتخرجين من الجامعات الغربية والأمريكية يلاحظ تأثرهم بالتحول الذي طرأ على إتجاه الأعمال الأكاديمية الذي قادته الحوليات^(٧٤).

ومما يدعو للتأمل والتساؤل حقا عدم تبلور مدرسة او مدارس تاريخية عراقية في النصف الثاني من القرن العشرين، على الرغم من أصالة البحث التاريخي للمؤرخين الرواد والأجيال التالية، والتجديد الذي قدمته بعض الدراسات التاريخية الأصلية، ولاسيما كتابات الدوري والعلي وخصباك وعلي والاحمد وجواد وترجمة مؤلفاتهم الى لغات غربية وشرقية متعددة. وقد كانت ظروف العراق منذ تأسيس النظام الملكي فيه وحتى الوقت الحاضر مشجعة لظهور إتجاهات فكرية جديدة في الكتابة التاريخية. فلم يشهد العراق إستقرارا طويلا الأمد على مدى تاريخه الحديث والمعاصر، وكانت ظروفها مشابهة في فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة قد أدت الى ظهور مثل هذه المدارس الفكرية التاريخية الجديدة، مثل مدرسة الحوليات الفرنسية والمدرسة افقتصادية في بريطانيا والولايات المتحدة. فهذه الظروف غير المستقرة قد قدمت مادة مهمة لمؤرخ التاريخ الوسيط الحديث والمعاصر يمكن أن تكون مختبرا لتطبيق العديد من فلسفات التاريخ وإتجاهاته أو إستنباط مدرسة أو مدارس تاريخية جديدة. لكن شيئا من ذلك لم يحدث، وإتجه كل من المؤرخين الرواد الى إختصاصه لتقديم دراسات جديدة ومبتكرة، تفاعل قسم منها مع المدارس الإستشراقية أو إنتقد تفسيراتها، وإتجه قسم آخر الى وثائق التاريخ الحديث والمعاصر وبلغات متعددة لقراءتها بروى جديدة، أو وفقا لقواعد ومناهج الكتابة التاريخية الغربية. وربما يمكن أن نشير أيضا غن الأنظمة الشمولية التي حكمت العراق بعد نهاية الحكم الملكي كانت عاقبا أمام تطور الفكر الحر في العراق ومانعا لظهور مدارس فكرية بعيدا عن سيطرة الدولة.

هذه الملاحظات لاتقلل أبدا من أهمية المساهمة العراقية في مجال الدراسات التاريخية، الا أنه لايمكن التحدث عن "مدرسة تاريخية عراقية"، على الرغم من وجود المجال

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ. م. د. محمود عبد الواحد محمود

الخصب لتبلور مدرسة أو مدارس عراقية للمعرفة التاريخية. فظروف العراق عبر تاريخه الطويل تشكل مختبرا رحبا لتجارب المؤرخين والاكاديميين العراقيين، لاسيما ما يخص " الدراسة الميدانية " التي كانت عنصرا أساسيا من سمات الحوليات الفرنسية. فعلى مدى تاريخه القديم والوسيط والحدث والمعاصر، قدم التاريخ العراقي تحديات كبيرة للمؤرخين العراقيين، لاسيما ما يتعلق بالغزوات والحروب الطويلة، التي كانت أحد أسباب إستجابة المفكرين والمؤرخين الفرنسيين لإعادة النظر في البنى الفكرية والمنهجية، وكانت علاقات فرنسا مع المانيا وحروبها معها سببا مضافا لظهور مدارس فرنسية متعددة للمعرفة التاريخية، ولم يكن مصادفة أن تكون مدينة ستراسبورغ المحاذية للالمان، المدينة التي إنشقت منها " مدرسة الحوليات ".

ووفقا لما تقدم، يمكن أن يكون " لمدرسة الحوليات الفرنسية " وجذورها القرووسطوية وتطور التجربة الفرنسية في مجال الدراسات التاريخية مقاربات مهمة للباحثين العراقيين، ويمكن أن يكون للدراسات المقارنة بين التاريخين العراقي والفرنسي، وتحديد عوامل التشابه والاختلاف، دور بارز في تطوير منهج جديد في الدراسات التاريخية، توائم بين " الدراسات الميدانية " والافادة من التناغم بين العلوم الاجتماعية والانسانية وتوظيف ادواتها بما يخدم الوصول للحقيقة التاريخية بوسائل جديدة. وفي كل ذلك، يمكن للمؤسسات الاكاديمية العراقية في حقل الدراسات التاريخية أن تفيد من الخبرة الفرنسية بما يساهم في ظهور جيل جديد من المؤرخين العراقيين الذين لا يكتفون بالمعرفة المجردة، بل يتجهون الى الاستمولوجيا، بمداهما الفلسفي وبوصفها درسا نقديا للمبادئ والفرضيات والنتائج العلمية والرامي الى تحديد أصلها المنطقي وقيمتها ومداهما الموضوعي^(٧٥)، لتطوير منهجية عراقية جديدة تساهم في بلورة تجربة الاجيال المتعددة من المؤرخين الى إطار نظري وعملي يحمل في طياته بصمة عراقية. فهما يقترب مما توصلت اليه " مدرسة الحوليات الفرنسية "، بالنظر الى التاريخ على أساس الحقبة الطويلة المتسمة ببنية من العلاقات والمفاهيم والتصورات المشتركة والسائدة، التي تتغير من مدة الى أخرى^(٧٦). فالتاريخ العراقي المعاصر وما آلت اليه الدولة العراقية من إنهيار أمام الغزو الأمريكي في نيسان ٢٠٠٣ تحتاج الى تطبيقات نظرية وميدانية يقترب من منهج الحوليات بإعادة دراسة مشروع الدولة العراقية المعاصرة منذ تأسيسها في آب ١٩٢١ وحتى عام

٢٠٠٣، وجذورها في التاريخ الإسلامي الوسيط برمته، ودراسة كل مايرتبط بها من بنى إقتصادية وإجتماعية وفكرية ربما هي التي كانت مسؤولة عن الإنهيار وليس العوامل السياسية لوحدها.

ومهما يكن، فهذه المقاربة العراقية "لمدرسة الحوليات الفرنسية" وجذورها القرووسطوية ذات فائدة كبيرة للمؤرخين العراقيين، لأنها تشكل إستمرارا لمحاولاتهم التفاعل مع التجارب العالمية والافادة من نتائجها، وإن مزيدا من الدراسة لهذه المدرسة على مستوى البحث الاكاديمي والدراسات العليا يمكن أن يقدم مقاربات ومقارنات مهمة لا تخلو من فوائد كثيرة. يتضح مما سبق الدور الذي أداه مؤرخو العصور الوسطى على أجيالها منذ التأسيس وحتى الوقت الحاضر. فقد كان المؤرخون المتخصصون في العصور الوسطى حاضرون في كافة التطورات والتحولات التي طرأت على هذه المدرسة التاريخية والفكرية، من عهد فيفر وبلوك ومرورا بكل من بروديل ولوغوف، الذي إستطاع أن يطور مفهوم التاريخ الجديد، الذي أصبح وليدا جديدا للحوليات منذ عقد السبعينات. ويتضح ايضا قدرة هذه المدرسة على التجدد مع مرور الزمن، مما منحها الفرصة للتطور والامتداد عالميا بحيث أثرت على مختلف حقول المعرفة الإنسانية، وفي مقدمتها حقل التاريخ الوسيط، مما انعكس على طبيعة الدراسات التاريخية المتخصصة في العصور الوسطى في النصف الثاني من القرن

الهواش والتعليقات :

(١) إختلف المؤرخون في تحديد بداية العصور الوسطى ونهايتها، إلا أنهم حددوا هذه البدايات والنهايات عموما بين القرنين الخامس والخامس عشر الميلاديين. للمقارنة أنظر: عبد القادر أحمد اليوسف، العصور الوسطى الأوربية، بيروت، ١٩٦٧، ص ١٣ - ٢٧؛ محمود عبد الواحد محمود، " حقل دراسة التاريخ الأوربي الوسيط الواقع والطموح " المجلة القطرية للتاريخ والآثار، العدد ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ص ٣٢٣ - ٣٣٣.

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ.م. د. محمود عبد الواحد محمود

(٢) تأثرت الكتابة في العصور الوسطى بالكتابات الكنسية، ولا سيما سير القديسين التي إتخذها العديد من المؤرخين دليلاً لهم للكتابة التاريخية. وربما يعد كتاب سيرة شارلمان لإينهارد مثلاً واضحاً على ذلك. مع ذلك فقد تطورت الكتابة التاريخية في العصور الوسطى واتخذت أصنافاً متعددة. للتفاصيل عن الكتابة التاريخية في العصور الوسطى، أنظر: بيريل سمالي، المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبدة قاسم، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤، ص ص ١٣ - ٢٠.

(٣) أنظر كتابه:

Jacques Le Goff, Pour Un autre Moyen Age, Paris, 1977.

(٤) أنظر نص البحث الذي شارك فيه الباحث ضمن وقائع الملتقى العراقي - الفرنسي الذي أقامه المعهد الفرنسي لدراسات الشرق الأدنى، بيروت، كانون الأول، ٢٠٠٩ ؛ ونشر البحث أيضاً في: محمود عبد الواحد محمود، "المؤرخون الأكاديميون العراقيون ومحاولات للإفادة من التجربة الفرنسية في مجال الدراسات والمعرفة التاريخية"، مجلة الحكمة، بيت الحكمة - بغداد، العدد ٥٠، ٢٠١١، ص ص ١٣٥ - ١٥٠.

(٥) أنظر نص البحث الذي شارك فيه الباحث ضمن وقائع الملتقى العراقي - الفرنسي الذي أقامه المعهد الفرنسي لدراسات الشرق الأدنى، أربيل، تشرين الأول، ٢٠١٠ ؛ ونشر البحث أيضاً في: محمود عبد الواحد محمود، "مدرسة الحوليات الفرنسية وتجديد كتابة التاريخ قراءة من منظور عراقي"، مجلة دراسات تاريخية، بيت الحكمة - بغداد، العدد ٢٨، ٢٠١١، ص ص ١٦ - ٢٦.

(٦) قدم الأستاذ الدكتور المرحوم علي الوردي عدة مساهمات في مجال الإفادة من المعرفة التاريخية لوضع نظريات إجتماعية تفسر طبيعة المجتمع العراقي، فإستطاع المزاجية بين التاريخ وعلم الإجتماع. ولعل أهم مساهماته في هذا الجانب كتابه المهم (لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث) بأجزائه الثمانية الذي صدر بطبعات متعددة ولا زال يلقي رواجاً منقطع النظير لدى النخبة والمثقفين العراقيين والعرب والأجانب. ومن

المؤرخين البارزين الذين إهتموا بإشكالية الإفادة من التاريخ ودروسه المؤرخ العراقي الاستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد، الذي يؤكد في كتاباته ومحاضراته على أهمية دراسة التاريخ لفهم الحاضر وتجاوز أخطاء الماضي. ومن أهم مساهماته في هذا الجانب بحثه الرائد في: كمال مظهر احمد، "راي للمناقشة الإطار الزمني لتاريخ العراق الحديث والمعاصر"، الحكمة، العدد ٥، السنة الاولى، تشرين الثاني - كانون الاول، ١٩٩٨،

ص ص

١٤-٥٠.

(٧) يقتضي العرفان بالجميل لتقديم الشكر الى السيد جان ميشيل -لودان-Jean Michael Le Dain، مدير المركز الثقافي الفرنسي والمسؤول عن العلاقات الثقافية والتعاون في السفارة الفرنسية في بغداد، الذي قام بجهود كبيرة بتوفير العديد من المصادر للأكاديميين العراقيين وطلبة الدراسات العليا، ومنها الأعداد الكاملة لمجلة الحوليات، الى جانب تقديم مجموعتي من المصادر التاريخية ولآثارية لقسمي التاريخ والآثار.

(٨) أنظر على سبيل المثال الدراسة الرائدة للمؤرخ الإيطالي سبستيان كونراد، في كتابه الرائد:

Sebastian Conrad , The Quest for the Lost Nation Writing History in Germany and Japan in the American century , Trans. by Alan Nothnagle ,Berkeley, University of California Press, 2010 , PP. 1 – 13.

(٩) محمود عبد الواحد محمود القيسي، العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية في عهد

شارلمان (٧٦٨ - ٨١٤ م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة بغداد،

٢٠٠٣.

(١٠) كتبت العديد من المؤلفات عن عهد شارلمان وأثره الكبير في التاريخ الأوربي الوسيط،

منها على سبيل المثال:

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ.م. د. محمود عبد الواحد محمود

Donald Bullough , The Age of Charlemagne , London ,Elek Books LTD , 1965,P. 202; Emil Ludwig , The Mediterranean Saga of the Sea, New York ,Whittlesey House , 1942, p. 479.

(١١) عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، ط ٤، الرباط، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥، ص ص)

١٨٧- ١٨٨.

(١٢) مؤرخ فرنسي، حصل على الدكتوراه عام ١٨٨١، وأصبح أستاذا في السوربون. يعد من أبرز ممثلي التاريخ المنهجي المعتمد على التحليل النقدي للمخطوطات والمصادر. ألف مع زميله شارل فكتور سينيوبوس كتابهما البارز، مقدمة للدراسات التاريخية، الذي أصبح أساس لتطور المدرسة المنهجية في البحث التاريخي في فرنسا وأوروبا. ألف مع لافيس كتاب (تاريخ فرنسا المعاصر). أنظر: لانجلوا وسينيوبوس، النقد التاريخي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨١، ص ص ٩ - ١٤.

Encyclopaedia Britannica , Chicago, William Benton, Publisher, 1966, vol.20, P.286.

(١٣) مؤرخ فرنسي متخصص في التاريخ الوسيط. درّس في السوربون، وحصل على الدكتوراه عام ١٨٨٧. أصبح رئيسا لارشيف فرنسا الوطني منذ عام ١٩١٣ وحتى عام ١٩٢٩. أصبح كتابه: مقدمة للدراسات التاريخية، الذي ألفه مع زميله سينيوبوس، دليلا شاملا ناقش استخدام التقنيات العلمية في البحث التاريخي. أنظر: لانجلوا وسينيوبوس، المصدر السابق، ص ص ٩ - ١٤.

(١٤) فرانسوا دوس، " الحوليات على مرّ الزمن "، العالم العربي في البحث العلمي، العدد ٧- خريف ١٩٩٦ / شتاء ١٩٩٧، ص ص ٦٣ - ٦٥.

(١٥) مؤرخ فرنسي، حصل على الدكتوراه في الآداب في عام ١٨٧٥، وفي عام ١٨٨٨، أصبح أستاذا للتاريخ الحديث في السوربون، عمل على تطوير مدرسة الدراسات العليا التطبيقية في فرنسا بعد عام ١٨٧١. له العديد من المؤلفات، أهمها مسائل التعليم

الوطني *Questions d'enseignement national* الصادر عام ١٨٨٥، ودراسات وطلاب *Etudes et étudiants* الصادر عام ١٨٩٠، ومقترح لمدارسنا *A propos de nos école*, الصادر عام ١٨٩٥. أما المؤلفات التاريخية، فأهمها رؤية عامة للتاريخ السياسي لأوروبا، الصادر عام ١٨٩٠ *Vue générale de l'histoire politique de l'Europe*. بعد الحرب البروسية - الفرنسية، أصدر عددا من المؤلفات والمقالات عن بروسيا والسياسة البروسية، وكانت أطروحته للدكتوراه عن أصول الاسرة الحاكمة البروسية. حرر كتاب (تاريخ فرنسا منذ الاصول وحتى الثورة) في عام ١٩٠١. أصبح رئيسا للأكاديمية الفرنسية بين ١٨٩٢ - ١٩٢٢. أنظر:

Encyclopaedia Britannica, vol.13, P. 813.

(١٦) فرانسوا دوس، " الحوليات على مرّ الزمن "، ص ص ٦٤ - ٦٥.

(١٧) يمكن مقارنة ذلك بقبول اليابانيين لهزيمتهم في الحرب العالمية الثانية أمام الحلفاء وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية، وإعادة التفكير بالكثير من جوانب حياتهم التي ادت الى الهزيمة، فكان نتيجة فهم الذات والاعتراف بالهزيمة تحقيق اليابانيين لاستقرارهم المجتمعي، ونجاح تجربتهم للتحديث التي ابهرت العالم. وقد صدر كتاب بالمعنى نفسه للمؤرخ الأمريكي البارز في الدراسات اليابانية جون داور. صدر هذا الكتاب بعنوان (قبول الهزيمة: اليابان في أعقاب الحرب العالمية الثانية). والمؤلف أمريكي الجنسية ولد سنة ١٩٣٨، وأستغرق سنوات طويلة في تأليفه. ويعد من الكتب الأكثر رصانة وأهمية التي تتبع التغييرات التي حدثت في اليابان بعد الحرب العالمية الثانية)، وحصل على جائزة ياماغاتا بانتو *Yamagata Banto*. للمقارنة أنظر:

John W. Dower, Embracing Defeat: Japan in the Wake of World War II, New York, W. Norton & Co., 1999, pp.19-30

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ. م. د. محمود عبد الواحد محمود

(١٨) وقد ترجم الدكتور عبد الرحمن بدوي الكتاب الى اللغة العربية بعنوان (المدخل الى الدراسات التاريخية). أنظر: لانجلوا وسينوبوس، المصدر السابق، ص ٥ - ١٥٢.

(١٩) تاسست مدرسة الحوليات في النصف الاول من القرن العشرين لتجديد المعرفة التاريخية، بالاستناد الى العلوم الاجتماعية. وسميت بهذا الاسم نسبة الى مجلتها (حوليات التاريخ الإقتصادي والإجتماعي) *Annales d' Histoire Economique et Sociale*، وكان لهذه المدرسة شاغلان: الاول الإفادة من العلوم الاجتماعية في تطوير التاريخ، والثاني البحث أبعد من الاحداث والاشخاص، اي مأسميها البنى، اي مايوجد عميقا على المدى الطويل. وقد أسس رائدا مدرسة الحوليات مارك بلوك ولوسيان فيفر "مجلة الحوليات" عام ١٩٢٩، وأصبح فيفر رئيسا لتحريرها ثم خلفه فرنان بروديل. ركزت هذه المدرسة على دراسة تاريخ فرنسا الإقتصادي والإجتماعي الذي سبق الثورة الفرنسية، وانتشر تأثيرها الى أوروبا وأمريكا اللاتينية، وأصبحت ذات تأثير كبير في تطور المعرفة التاريخية في القرن العشرين. للتفاصيل عن مدرسة الحوليات، أنظر: حسان العرفاوي وفاروق مردم بك، "أن نبني جسور الحوار: حوار مع جاك لوغوف"، العالم العربي في البحث العلمي، العدد ٧ - خريف ١٩٩٦ / شتاء ١٩٩٧، ص ٤٥ - ٤٦.

(٢٠) مؤرخ فرنسي بارز. كان رئيسا لمدرسة الحوليات. انجز ثلاثة مشاريع كل منها يحتاج الى عقود من العمل المكثف: البحر المتوسط (١٩٢٣ - ١٩٤٩) / ثم ١٩٤٩ - ١٩٦٦)، الحضارة والرأسمالية (١٩٥٥ - ١٩٧٩)، ومشروعه الاخير الذي لم يكتمل، هوية فرنسا (١٩٧٠ - ١٩٨٥). جاءت شهرته الواسعة من كتاباته، ومن توجيهه لمدرسة الحوليات على مستوى فرنسا والعالم منذ عام ١٩٥٠. ويعد بروديل من المؤرخين الذين أكدوا على العوامل الاقتصادية والاجتماعية في التطور التاريخي. أنظر: أنيس عبد الخالق محمود القيسي، النشاط البحري العثماني في البحر المتوسط

خلال القرن السادس عشر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص ص ١٧ - ١٨؛ جون ليتشه، المصدر السابق، ص ص ١٩١ - ١٩٩.

(٢١) حسان العرفاوي وفاروق مردم بك، "أن تكون مؤرخاً ضمن مدرسة الحوليات حوار مع جاك ريفيل"، العالم العربي في البحث العلمي، العدد ٧ - خريف ١٩٩٦ / شتاء ١٩٩٧، ص ص ٥٩ - ٦٠.

(٢٢) محمد حالي، مدرسة الحوليات التاريخية الفرنسية: النشأة والتطور والإمتدادات، بحث منشور على شبكة الانترنت، ٦ - حزيران، ٢٠١٠.

(٢٣) تغيير إسم المجلة عدة مرات، فأصبح إسمها (حوليات التاريخ الاجتماعي) *Annales d'histoire sociale* بين (١٩٣٩ - ١٩٤١)، ثم أمزاج تاريخية *Melanges d'histoire* بين (١٩٤٢ - ١٩٤٤)، ثم عادت المجلة الى إسمها القديم (حوليات التاريخ الاجتماعي) ٩ في عام ١٩٤٥، وفي عام ١٩٤٦ تبنت إسم (الحوليات: إقتصاديات - مجتمعات - حضارات) *Annales:Economies-societies -civilizations*. للتفاصيل أنظر: جون ليتشه، خمسون مفكراً أساسياً معاصراً من البيوية الى مابعد الحداثة، ترجمة فاتن البستاني، ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨، ص ١٨.

(٢٤) مؤرخ فرنسي متخصص في العصور الوسطى. كان أحد مؤسسي "مدرسة الحوليات"، اشتهر بتأليفه لكتاب (تاريخ الريف الفرنسي والمجتمع الاقطاعي). عمل على مشروعه البارز (مهنة المؤرخ)، الذي لم يكمله. القى القبض عليه من قبل الجستابو الالمانية، وتم اعدامه لجهوده في المقاومة الفرنسية في عام ١٩٤٤. أنظر: جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ج ١، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، ط ١، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠، ص ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ. م. د. محمود عبد الواحد محمود

(٢٥) مؤرخ فرنسي، اشتهر بدوره في تأسيس "مدرسة الحوليات". بين عامي ١٨٩٩ و ١٩٠٢، اهتم بدراسة التاريخ والجغرافية. بدأ بالعمل على اطروحته للدكتوراه عن فيليب الثاني، الا أنه اضطر الى ترك وظيفته التعليمية عند اندلاع الحرب العالمية الاولى، اذ التحق بالجيش، وخدم لمدة اربع سنوات. عمل في جامعة ستراسبورغ بعد اعادتها من الالمان في عام ١٩١٩. وتعرف هناك على مارك بلوك، وبدأ التقارب بينهما في الجوانب الفكرية والفلسفية. نشرت اطروحته عن فيليب الثاني في ١٩١١. عمله الاخر المهم هو عن البروتستانتية، الذي نشره في عام ١٩٢٩. في العام الاخير، أسس مع زميله مارك بلوك مدرسة الحوليات ومجلتها، التي اعتمدت على رؤية فيفر بالاعتماد على البحث التاريخي والماضي، لتجنب العالم الكوارث الاقتصادية والاجتماعية. في عام ١٩٣٣، حصل فيفر على كرسي في كوليج دو فرانس. و تركت وفاة زميله مارك بلوك فراغا في حياته الفكرية، وحملته عبء نشاط "مدرسة الحوليات" ومجلتها. واسهم في الوقت ذاته في تدريب فرنان بروديل الذي تولى فيما بعد تأسيس مدرسة الدراسات العليا التطبيقية. للمزيد من التفاصيل عن دور فيفر في مدرسة الحوليات، أنظر: فرانسوا دوس، التاريخ المفتت، ص ص ٩٥ - ١٤.

(٢٦) للتفاصيل عن هذه المفاهيم، أنظر:

Nicolasb Offenstadt et al, Les Mots de l'histoire, Paris, Presses Universitaires du Mirail, 2006, PP54 -55; 70-71; 78-79.

(٢٧) فرانسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليات الى التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩، ص ٢٧.

(٢٨) فرانسوا دوس، " الحوليات على مَرَّ الزمن"، ص ص ٦٣ - ٦٤.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ص ٦٦ - ٦٧.

(٣٠)، فرانسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليات الى التاريخ الجديد، ص ص ٣٥ - ٣٦.

(٣١) المصدر نفسه، ص ص ٣٩ - ٤٠.

(٣٢) للتوسع في مناقشة ظهور مدرسة الحوليات، أنظر:

Michael Harsgar, "Total History: The Annales School", In: Journal of Contemporary History, Vol.13, No.1, Jan., 1978), PP.2 -4.

(٣٣) هنري بيرين: مؤرخ بلجيكي متخصص بالعصور الاوربية الوسطى. أصبح بطلا وطنيا من خلال دعوته للمقاومة السلبية للاحتلال الالمانى لبلجيكا، اذ اوعه الالمان السجن بسبب أفكاره الوطنية الراضية للاحتلال. وتاتي شهرة بيرين من عدة مساهمات في التاريخ الوسيط، اولها ما أصبح يعرف بنظرية بيرين Pirenne Thesis، التي ناقشت جذور العصر الوسيط. وهي النظرية التي سادت منذ أواخر الثلاثينات وبداية الاربعينات، التي نشرها في عدد من مقالاته ثم طورها في كتابه البارز محمد وشارلمان، الصادر عام ١٩٣٧، وتؤكد بأن الفتوحات العربية الاسلامية أغلقت البحر المتوسط أمام الاوربيين، وأوجدت قطيعة بين الغرب والشرق الاسلامي. أما مساهمته الثانية فهي تاريخ بلجيكا في العصور الوسطى باجزائه الخمسة، وثالثا لنموذجه الذي قدمه عن تطور المدينة في العصور الوسطى. وبعد بيرين من مؤسسي مدرسة الحوليات أيضا، أثرت افكاره على مارك بلوك ومؤرخي "مدرسة الحوليات"، لاسيما فيما يخص الجوانب الاجتماعية والاقتصادية. أنظر:

Henri Pirenne, Muhammad and Charlemagne, 2nd ed., London, George & Unwin LTD, 1

(٣٤) فرانسوا دوس: مؤرخ فرنسي متخصص بالتاريخ الوسيط. يعد من مؤرخي مدرسة الحوليات. من مؤلفاته: تفتيت التاريخ، ١٩٨٧ و تاريخ الهيجلية، المجلد الأول، حقل الاشارة، ١٩٩١ و المجلد الثاني، خاتمة الابداع ١٩٩٢ و اللحظة المتشظية مقابلات مع بيير شونو، ١٩٩٤ و امبراطورية المعنى انسنة العلوم الانسانية، ١٩٩٥. انظر: فرانسوا دوس، المصدر السابق، ص ٦٢.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٧١ - ٧٢.

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ. م. د. محمود عبد الواحد محمود

(٣٦) للتفاصيل عن آراء بلوك، أنظر:

Bryce Lyon, " Marc Bloch: Historian ", French Historical Studies, Vol.15, No2 (autumn, 1987), PP.199-200.

(٣٧) نشر العدد الأول من مجلة الحوليات نص كلمة مارك بلوك، الذي دعا فيها الى مزيد من التوصل والحوار بين المؤرخين. حول نص الكلمة، انظر:

Bloch Marc, " Le congrès des sciences historiques d'Oslo (1928)", In: Annales d'histoire économique et sociale. 1e année, N. 1, 1929. pp. 71-73.

(٣٨) نشر بلوك مقالته في:

Revue de synthese historique, tome 46, 1928, PP.15-50; Quoted In: Bryce Lyon, OP.CIT, P.200.

(٣٩) أنظر نص التقديم في:

Bloch Marc, Febvre Lucien. " À nos lecteurs. In: Annales d'histoire économique et sociale", 1e année, N. 1, 1929. pp. 1-2.

(٤٠) أنظر نص مقالة بيرين في:

Pirenne Henri, " L'instruction des marchands au moyen âge. In: Annales d'histoire économique et sociale", 1e année, N. 1, 1929. pp. 13-28.

(٤١) أنظر تفاصيل هذه المقالات وعروض الكتب والنشاطات في العدد الأول من مجلة الحوليات:

Annales d'histoire économique et sociale", 1e année, N. 1, 1929.

(٤٢) أنظر الأعداد (١ - ٤) المنشورة في عام ١٩٢٩ من مجلة الحوليات:

Annales d'histoire économique et sociale", 1e année, N. 1,2,3,4, 1929.

(٤٣) أنظر مثل هذه الآراء لبلوك في كتابيه:

Marc Bloch ,The Historian's Craft, Oxford, Manchester University Press,1967, PP.29-35; Marc Bloch, Feudal Society,Vol.1,the growth of ties of dependence ,London ,Routledge & Kegan Paul LTD,1967, PP.59-120.

(٤٤) أنظر:

Bryce Lyon, OP.CIT., P.201.

(٤٥) من أهم مؤلفات هنري بيرين عن التاريخ الاقتصادي ما يأتي:

Henri Pirenne , Medieval cities , Princeton , Princeton university Press , 1948 ,; Henri Pirenne , Muhammed and Charlemagne , London , George Allen & Unwin Ltd , 1953 , ; Henri Pirenne , Economic and social History of Medieval Europe, London , Routledge & Kegan paul Ltd , 1953.

وقد ناقشها الباحث في أطروحته للدكتوراه

(٤٦) يعد هذا الكتاب من المؤلفات المهمة التي ألفها بلوك أثناء الحرب، وعبر فيه عن

إندهاشه لهزيمة فرنسا سريعا أمام الألمان. وحاول فيه تتبع الجذور القرووسطوية لهذه

الهزيمة "الغريبة". للمقارنة عن رؤية بلوك أنظر الكتاب بطبعته الإنكليزية والفرنسية، أنظر:

Marc Bloch, L'Etrange defaite, Paris, 1957; Marc Bloch, Strange Defeat, A statement of Evidence written in 1940, New York, 1968.

(٤٧) من المفارقات أن كلا من بيرين وبلوك وبروديل تعرضوا للإعتقال من قبل الألمان، فاعدم

النازيون بلوك في عام ١٩٤٠، في حين تعرض كل من بيرين وبروديل للإعتقال، الاول

خلال الحرب العالمية الأولى،والف كتابه تاريخ أوروبا وهو في السجن، في حين جمع

الثاني مادة كتابه المتوسط والعالم المتوسطي وهو رهن الاعتقال في المانيا بين ١٩٤٠

و ١٩٤٥، أما بالنسبة الى بلوك فقد ألف كتابه (حرفة المؤرخ) وهو رهن الاعتقال وقبل

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ. م. د. محمود عبد الواحد محمود

إعدامه ثم نشره تميزه وزملاؤه من بعده. ومن المفارقات أيضا أن بيرين وبلوك ألفا كتابيهما بدون مصادر، في حين حول بروديل مشروعه الى أطروحته للدكتوراه. أنظر: فرنان بروديل، المصدر السابق، ص ص ١٣ - ٢٥ ؛

Marc Bloch, the Historian's Craft, Introduction; Henri Pirenne, A History of Europe, 2 vols, New York, Doubleday Anchor Books, 1956.

(٤٨) أنظر مقدمة مؤرخ العصور الوسطى موريس باويك لطبعة ١٩٩٩، وتقييمه لأهمية الكتاب.

Marc Bloch, Strange Defeat A statement of Evidence written in 1940, introduction by Maurice Powicke New York, 1999, PP.V-VII.

(٤٩) أنظر:

Bryce Lyon, OP.CIT., P.202.

(٥٠)

Quoted in; Bryce Lyon, OP.CIT., P P.202-203.

(٥١) مؤرخ الماني، ولد في مدينة جيست (إيلستر) Jessen (Elster) في إقليم ساكسونيا في المانيا، تخصص في التاريخ والعلوم السياسية في جامعات غويتنغن ولايبزغ وميونخ. ودرس في جامعة ماربورغ، ثم درس في جامعة لايبزغ، حيث أسس مركز للتاريخ المقارن والثقافي. درس لا مبرخت التاريخ الاجتماعي والإقتصادي لألماني وأوربا، وعلى نحو خاص في العصور الوسطى. وقد اثار جدلا بمناهجه الجديدة التي تعتمد على دراسة العوامل الاجتماعية والبيئية والنفسية. وقد أثارت طروحاته ومناهجه الجديدة خلافات حادة مع المؤرخين الألمان. وقد أدى ذلك الى إستبعاده وطلابه من المؤسسات الأكاديمية الألمانية. مع ذلك نال لامبرخت سمعة واسعة في الولايات المتحدة وفرنسا. ففي عام ١٩٠٤، وجهت له دعوة لالقاء محاضرات في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة، وقد ترجمت محاضراته الى اللغة الإنكليزية بعنوان (ماهو التاريخ). أثرت

كتابات لامبرت على عدد من المؤرخين الفرنسيين، ولاسيما مارك بلوك ولوسيان فيفر، وكان لأفكاره دور في تأسيس مدرسة الحوليات الفرنسية، وطروحاتها المتعلقة بالتاريخ الاجتماعي وتاريخ الذهنيات. للتفاصيل أنظر:

Bryce Lyon, OP.CIT., P P.202-203.

(٥٢) أنظر:

Ibid., PP.202-203.

(٥٣) لمقارنة أوسع لآراء بيرين في كتابه تاريخ بلجيكا، أنظر:

Henri Pirenne, Histoire de Belgique, 5th ed., Brussel, 1929, Vol. 1, P.XII.

(٥٤)

Bryce Lyon, OP.CIT, P. 203.

(٥٥)

Michael Harsgar, OP.CIT. , P. 4.

(٥٦) تأثر بروديل بما طرحه لوسيان فيفر في أطروحته للدكتوراه المعنونة (فيليب الثاني ومنطقة

فرانش-كومت : دراسة في التاريخ السياسي والديني والاجتماعي) Philippe II et la

Franche –Comite: etude d ' histoire politique,religieuse et

sociale، الذ نشر في باريس في عام ١٩١١. وقد نشر ثانية بدون هوامش في عام

١٩٧٠. تأثر بروديل أيضا بنظريات سيميان الاجتماعية. وقد أعيد نشر كتاب بروديل عام

١٩٦٦، وترجم الى الإنكليزية بالعنوان ذاته: The Mediterranean and the

Mediterranean world in the age of Philip II، ونشر في لندن في عام

١٩٧٢- ١٩٧٣. من مؤلفات بروديل الأخرى: (الكتابات بشأن التاريخ Ecris sur

l'histoire)، صدر في باريس في عام ١٩٦٩، و (الحضارة المادية والرأسمالية -

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ. م. د. محمود عبد الواحد محمود

القرنين الخامس عشر والتاسع عشر) *Civilisation materielle et capitalisme*

XVe et XIXe siecle-، الصادر في باريس عام ١٩٦٧. للتفاصيل أنظر:

Ibid., P. 204,11.

(٥٧) جون ليتشه، المصدر السابق، ص ص ١٩٣ - ١٩٨.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ص ١٩١ - ١٩٥: فرنان بروديل، قواعد لغة الحضارات، ترجمة الهادي التيمومي، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩، ص ص ٢٧ - ٣٩.

(٥٩) فرنان بروديل، المصدر السابق، ص ٢١.

(٦٠) نشر كتاب لا روي لادوري في عام ١٩٦٦. وقد ترجمت بربارا براي Barbara Bray كتابه عن المناخ بعنوان (أوقات الولاية، أوقات المجاعة، تاريخ المناخ منذ سنة ١٠٠٠ م) *Times of feast, times of famine , a history of climate since 1000*، نشر في لندن في عام ١٩٧١. للتفاصيل أنظر:

Ibid., P.11.

(٦١) نشر كتاب شونو عن إشبيلية مع مقدمة للوسيان فيفر في الأعوام ١٩٥٥ - ١٩٥٩. وبعد شونو أحد مؤرخي الحوليات البارزين، من مؤلفاته (أميركا والأمريكيين) *L'Amerique et Les Americains*، الصادر في باريس عام ١٩٦٤، و (التوسع الأوربي من القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر) *L'expansion European duXIIIe au XVe*، الصادر في باريس عام ١٩٦٥، و (الحضارة وأوروبا الكلاسيكية) *La civilization de l'Europe classique*، المنشور في باريس عام ١٩٦٦، و (الفتح وكشف عوالم جديدة - القرن السادس عشر) *Conquete et exploration des nouveaux mondes-XVIe siecle*، المنشور في باريس عام ١٩٦٩، و (إسبانيا في عهد شارل الخامس) *L'Espagne de Charles Quint*، المنشور في باريس عام ١٩٧٣، و (التاريخ علم إجتماعي، الحقب المجال

Histoire science sociale , la duree,l'espace (والإنسان في العصر الحديث)
et l'homme a l'epoque moderne، المنشور في باريس في عام ١٩٧٤، و
(وعصر الإصلاحات) Le Temps des Reformes، المنشور في باريس في عام
١٩٧٥. للتفاصيل أنظر:

Ibid.

(٦٢) أنظر:

Ibid., P.5.

(٦٣) حسان العرفاوي وفاروق مردم بك، "أن تكون مؤرخاً ضمن مدرسة الحوليات حوار مع
جاك ريفيل"، ص ٥٩ - ٦٠.

(٦٤) محمد حالي، مدرسة الحوليات التاريخية الفرنسية: النشأة والتطور وإامتدادات.

(٦٥) عالم اجتماع واقتصادي فرنسي. اشتهر من خلال مساهمته في مجلة (السنة
السوسيولوجية) Année Sociologique. كانت له مساهمات مهمة في (المدرسة
التاريخية الفرنسية لعلم الاقتصاد)، وتقديراً لجهوده أصبح عضواً في الهيئة العلمية
للكوليج دو فرانس، في عام ١٩٣١. تنقل في وظائف متعددة، منها استاذاً في مدرسة
الدراسات التطبيقية العليا منذ عام ١٩١٠. نشر كتابه (المنهج الوضعي في علم
الاقتصاد)، في عام ١٩١١، وطبق أفكاره التي جاءت في هذا الكتاب في دراساته
اللاحقة عن الاجور والمال والحلقات الاقتصادية الطويلة. و طبق منهج سميان في
الدراسات الاقتصادية اللاحقة لعلماء الاقتصاد والاجتماع. للمزيد من التفاصيل، أنظر:

Joseph A. Schumpeter, History of Economic Analysis, New
York, Oxford University Press, 1954, p. 820.

(٦٦) فرانسوا دوس، المصدر السابق، ص ٦٤ - ٦٦.

مؤرخو العصور الأوربية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ (مدرسة الحوليات الفرنسية ...

أ.م.د. محمود عبد الواحد محمود

(٦٧) أنظر على سبيل المثال دراسة دومنيك بوريه عن (السياسة والتاريخ في شعر الملاحم) ودراسة مارك فيرو عن (ولادة البيروقراطية السوفيتية)

Dominique Bouret, "La Politique et l'histoire dans les chanson de geste", In: Annales, XXXI, 1119-29; Marc Ferro, "La naissance du systeme bureaucratique en URSS", In: Annales, XXXI, 243-267; Michael Harsgar, OP.CIT. , P. 6.

(٦٨)

Michael Harsgar, OP.CIT. , P.10.

(٦٩)

Ignacio Olabarri, "New new History: A longue Duree Structure" , In: History and Theory, Vol.34 , No.1, Feb.,1995, PP.6.

(٧٠) عبد الله العروي، المصدر السابق، ص ١٨٩.

(٧١) للتفاصيل عن ظهور وتطور مفهوم (التاريخ الجديد)، أنظر: جاك لوغوف (إشراف)، التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧، ص ٣٥ - ١٢٨ ؛

Ignacio Olabarri ,OP.CIT., PP.4 -5.

(٧٢) لم يتم الإشارة الى إسمين لامعين في عالم الآثار هما الرائدان طه باقر وفؤاد سفر، لأن مساهمتهما تنحصر في الكتابات والتنقيبات الآثرية.

(٧٣) هاشم يحيى الملاح، "الكتابات التاريخية العراقية المعاصرة وشروط وجود مدرسة تاريخية عراقية"، المجلة القطرية للتاريخ والآثار، العدد ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١، ص ١٠٠ - ١٠٥.

(٧٤) لمناقشة تأثير الحوليات على المؤرخين والمفكرين العراقيين الرواد، أنظر: محمود عبد الواحد محمود، "التيارات الفكرية الجديدة والمؤرخين العراقيين الرواد: هل تأثر المؤرخ عبد العزيز الدوري بمدرسة الحوليات الفرنسية ؟"، في كتاب: عبد العزيز الدوري مفكرا

ومؤرخا، إعداد وتقديم حيدر قاسم التميمي، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠١١، ص ص
١٠١ - ١٣٦.

(٧٥) وجيه كوثراني، "الأيدولوجي والمعرفي في الخطاب التاريخي العربي"، مجلة المستقبل
العربي، العدد ٣٨١، تشرين الثاني - نوفمبر ١١ / ٢٠١٠، ص ص ٧٩ - ٨١.
(٧٦) المصدر نفسه، ص ٨٠.